بشير العترى

قصائد ومقالات مجهولة
للشاعر الراحل على الرقيعى

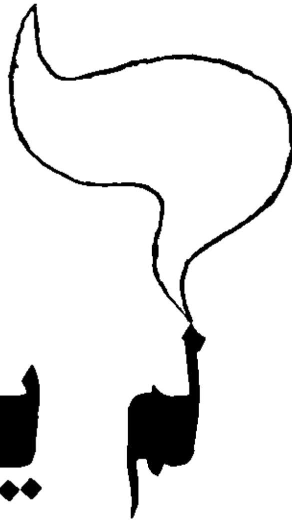


«الكتاب الثانى»

بشير العترى

قصائد ومقالات مجهولة
للشاعر الراحل على الرقيعى

إلى صديقنا العزيز: محمد اللحويتي
إليك أبرا «الفيزيائي» المتأدب
هذا العمل الذى اعتز به.
بشير العترى
91/3/24



لم يمت

«الكتاب الثانى»

الطبعة الاولى 1991 م .

تصميم الغلاف من اهداء الفنان : محمد رضا

تنفيذ : مصطفى لطيوش

كلمة

الشّاعر الذى لم يَنْحَنِ

أجل لم يمت فهو حيٌّ خالد.
كيف للشاعر أن يموت ؟.
وكيف للشعر أن ينطفىء سراجه النو راني ؟.
كيف لوهجه المقدس أن تكف ألسنة لهبه عن مطاردة جيوش الظلام والغيلان والعناكب ؟.
كيف لدفق الحياة بكل عرامته أن يتوقف ؟.
كيف لنسغ الكينونة أن يجف فى أوصال الحياة وفى رحم الأحياء ؟.
أجل لم يمت فالشاعر أقوى من الموت وأبقى من الأيام.
ولكن هل كل الشعراء جديرون بأن يكتبوا فى لوح الخلود ؟.
وحده الشاعر الأصيل المنبثق من أتون معاناة الناس والمنصهر فى بوتقة أفراحهم وأتراحهم بكل الحب والصدق وصفاء الروح وشفافية الوجدان حي خالد وعصي على لغز الموت.
وحده الشعر الأصيل المجبول من إيقاع الحياة من الأمل والألم من الانكسار والانتصار.

نعم انت حى أيا شاعري[1]..
طليق تغنى نشيد الحياة

نعم هو حى تنطلق من شبابته المرهفة وتره المشدود أغانى الحياة وأناشيدها الشجية وتشدو مع صادحات الطير ألحاناً طليقة لاتحبسها الأكفان ولاتحاصرها اللحود ولايخنقها صموت المقابر الرهيب.

إن الشاعر الحقيقى يمضى مادياً ويخلد معنوياً فغناؤه العبقري ورؤاه وخيالاته وأشجانه ورغابه هى خير بديل لغيابه الفيزيائى وذلك انتصار ـ بلاشك ـ له قيمته على الموت الهاجس الذى حير الإنسان طويلا وأرقه كثيرًا وأثار أسئلته المتعددة حتى حوله إلى موضوعة فلسفية شائكة :

ولكنه لم يمت يارفاق..
ولم ينطفىء اللهب العارم
ولم تخب جذوة ذاك الشعاع..
ولم يختف النغم الحالم[2]

انتصر الشاعر ـ إذن ـ ولم يسكت صرير الموت حروفه النابضة بالحياة ولم يطفىء ضرام لهبه وظلت كلماته شعاعًا أبديًا يطرد الظلمة ويحاصر أعداء النور ويسقى النفوس والأرواح بغيث ربيع دائم لايطاله الخريف ولاتصوح أنغامه الحالمة ولحونه الثرة.

« 1 » ينظر النص الشعرى الثانى « لم يمت »

« 2 » ينظر النص الشعرى السابق

نشأ الشاعر والأديب الراحل على محمد الرقيعى عصاميًا فذًا نحت فى الصخر طريقًا واختط برغم الفقر ورغم صعوبات الدرب نهجًا وخصوصية تميزه من سواه وتصنع حضوره العميق فى حياتنا الأدبية والثقافية فى فترة وجيزة لم تتعد العقود الثلاثة إلا بسنتين اثنتين وبذلك قدر له أن ينتظمه سلك الراحلين فى ميعة الصبا من أمثال طرفة وأبى تمام والمتنبى والشابى والتجانى يوسف بشير الذين لاتقاس حياتهم بسنى أعمارهم بل تحسب بما أبدعوه من نتاج شعرى متفرد هو أكبر من تلك السنين القليلات بمعنى أنها تقاس بمدى غوصهم فى مجاهل الابداع وجوسهم خلال زواياه البكر وكأن هؤلاء المبدعين فى سباق مع الموت ـ الذى لايرحم ـ وعليهم أن يربحوا السباق ويختزلوا الزمن ليقولوا أجود ما عندهم فى أعوام قليلة.

« على الرقيعى نموذج من الشعراء الذين استطاعوا بكفاحهم الشخصي أن يبنوا لأنفسهم مكاناً بارزًا بين الشعراء المحدثين الذين كان لهم أثر ملحوظ فى القصيدة العربية فى ليبيا »(1)

« وعلى الرقيعى أديب يجمع بين الشعر والنثر... وهذه خبرة قلما تجتمع فى آن واحد فى شخصية الشاعر فى الأدب الليبي فقد عهدنا الشاعر ناظمًا ولم نعهده ناثرًا وقلما كانت تجتمع فى الشاعر الليبى هاتان الخصلتان معًا فى آن واحد »(2)

« وهذه الميزة لها أهميتها خصوصًا بالنسبة للشاعر الحديث الذى واجه ولايزال يواجه حربًا عدائية مبيتة من قبل أعداء التجديد وبموته خسر الأدب الليبى شاعرًا يعرف كيف يحمى انتاجه ويذود عنه عداوة الرجعية والمتزمتين »(3)

« 1 » نجم الدين الكيب « مقال عن الرقيعى » جريدة الرائد ، 2 / 12 / 1966 ، ص7،
« 2 » المرجع السابق . ص . ن .
« 3 » السابق . ص . ن

فقد الشاعر الرقيعى أمه وهو طفل غض لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره وبذلك عرف الحرمان صغيرًا وذاق مرارة قسوته وانصهرت روحه فى مرجله.

كان الحرمان إكسير حنو دافق يمنحه بغير حدود وحنان غامر ينتظم الناس جميعًا الناس المغلوبين المقهورين الضعفاء من كل الألوان من كل الأجناس أولئك الذين صنعوا وجدانه الرهيف وضميره الحى وصوته الجهير وصدقه الكبير وثباته على المبدأ.

فمن بين صفوف أكثر هؤلاء فقرًا خرج الشاعر.

ومن بين صفوف أكثر هؤلاء معاناة ومقاساة وصبرًا شب وترعرع ورأى بأم عينيه واقع أبناء شعبه الأليم.

فى مدرسة هؤلاء البسطاء المعذبين تعلم أبجدية الرفض والثورة غير القابلة أبدًا للتغيير أو التبديل وانبجس هذا الشعر الصدامى الرائع أناشيد جموع المحرومين الأميين الذين منعتهم ظروفهم العسيرة أن يعبروا عن ذوات أنفسهم من أجل افتكاك حقوقهم المغتصبة وإنسانيتهم المهدورة.

إنه ابن هذا الشعب البار والفارس الذى لم يلق سلاحه منذ امتطى صهوة أول حرف خطته أنامله وحتى رمقه الأخير منافحًا عن الحرية بصوفية نادرة المثال.

لم يضعف يومًاولم يلن وظل الوفى الذى لايغير مجراه يفيض خصوبة وعنفوانًا فى مواسم التصحر وجفاف الأنهار وفى زمن الردة والتولى حيث باع أشباه الفرسان خيولهم للشيطان وأصواتهم للسلطان سقوطًا فى سراب الملذات والمغانم.

الفارس الذى لم ترهقه المعارك والمغازى فما آب من معركة حتى وجد نفسه فى أوار معركة جديدة غير مبدد طاقاته فى مناوشات هامشية ومعارك غير واجبة أو دعائية.

لكل ما سبق كان الكتاب الأول الذى جمعت فيه نصوصًا مجهولة تركها الشاعر متفرقة فى الدوريات بعد موته وهو بعنوان « الليل والسنون الملعونة ».

ولكل ذلك يجيء الكتاب الثانى وهو قصائد ومقالات مجهولة للشاعر أسميته « لم يمت » وهو عنوان إحدى قصائد الكتاب ولعل أهميتها تكمن فى أنها تعبير عن واحدة من أعقد القضايا الفلسفية التى شغلت الانسان منذ القدم - عامة وأرّقت المبدع خاصة.

إن قصيدة « لم يمت » مرثية لشاعر راحل تناول فيها الرقيعى خلود الشعر والشاعر وكأنه يرثى نفسه كما فعل سلفه مالك بن الريب أو لعله كان يحس مباغتة الموت وهو فى ربيع العمر وعليه أن يقول كلمته فى الموت قبل أن يداهمه معلنا انتصار الشاعر على الموت وخلوده أبد الدهر.

ورُبّ سائل يقول : لماذا لم تنشر هذه النصوص مجتمعة فى كتاب واحد بدل نشرها فى كتابين اثنين ؟.

وأنا سأجيب بصدق تام عن هذا السؤال المتوقع طرحه مرة بحسن النية وأخرى بسؤ الطوية.

لقد كنت - كغيرى من الباحثين - اريد إن يكون لى فضل السبق فى بحث يعد إضافة للبحث العلمي.

وكانت الفرصة مواتية فى نشر قصائد ومقالات مجهولة للشاعر الراحل على الرقيعى لتحقيق هذا المبتغي العلمي وهو حق مشروع للباحثين جميعًا ومن ثم نشرت ما استطعت جمعه من تلك القصائد والمقالات التى كان حجمها كافيًا لإخراجها فى كتاب على الرغم من معرفتى أن هناك عددًا آخر من القصائد والمقالات تركها الشاعر ولم يتضمنها الكتاب الأول وهو المعروف بغزارة نتاجه الشعرى والنثرى ومساجلاته المتعددة.

ولا اذيع سرًا إذا قلت إنى غضضت الطرف عن بعض الأخطاء الطباعية والفنية فى الكتاب الأول تحسبًا لتسرب فكرة الكتاب إلى غيرى وهى أخطاء - بلاشك - لاتخفى على القارىء الحصيف راجيًا أن أصحح هذه الأخطاء فى طبعة لاحقة.

وبعد صدور كتاب « الليل والسنون الملعونة » انكببت مرة أخرى باحثا عن قصائد ومقالات مجهولة وقد ازددت خبرة ومعرفة بمظانها وكانت المحصلة الكتاب الثانى « لم يمت » الذى نحن بصدد التقديم له.

وهكذا أشرُف بجمع جل ما ترك الشاعر الراحل من أعمال إبداعية اختطفته يد المنون قبل أن يجمعها فى كتاب.

ليس لدي أي هدف سوى ما ذكرت ولا سبب آخر يعلو الذى بينت حين أصدرت أعمال الشاعر فى كتابين لا فى كتاب واحد احترامًا للشاعر الذى أبى أن يستغل موهبته الكبيرة من أجل مآرب شخصية فى حياته وهو الذى مات عاطلًا عن العمل فى وقت كان فيه أصحاب المواهب الكليلة ينعمون بالرفاه ورغد العيش فمن باب أولى ألا يستغل فى مماته وكذلك احتراماً لنفسي وللبحث العلمي الذى ينبغي أن يكون منزهًا من أية أطماع.

. يضم الكتاب الثانى ثلاثة وعشرين نصاً موزعة بين اثنتى عشرة

قصيدة وإحدى عشرة مقالة.

والنصوص منشورة حسب السنوات على النحو التالى :

أولًا : القصائد :

---

(1)قصيدة واحدة بعنوان : خواطر بجريدة طرابلس الغرب سنة 1954 م.

(2) قصيدة واحدة بعنوان : لم يمت بجريدة طرابلس الغرب سنة 1955 م.

(3) خمس قصائد هي على التوالى : ولكن لماذا ؟ وأجل أنت حرة ، وعندما أراك ولست أنسى ورغم الطغيان بجريدة طرابلس الغرب سنة 1957 م .
(4) قصيدة واحدة بعنوان : بعد عام بجريدة طرابلس الغرب سنة 1958 م .
(5) قصيدة واحدة بعنوان : الحنين النبيل بجريدة طرابلس الغرب سنة 1959 م .
(6) ثلاث قصائد نشرت بمجلة صوت المربى هى : إنى لتبهرنى و حنين وأحبك.

ثانيـــــــاً : المقالات :

(1)مقالة واحدة بعنوان : دعونى ياصحابى بجريدة طرابلس الغرب سنة 1954 م .
(2) مقالة واحدة بعنوان : مسرحية عمر المختار بين الواقع المادى والذهنية البحتة بجريدة طرابلس الغرب سنة 1960 م .
(3) ست مقالات هى على التوالى : أدب وحب وأدب وحب وضرورة الفن لحياتنا والالتزام والحرية والخواجة محمد إسماعيل وأنا هنا ياابن الحلال بجريدة طرابلس الغرب سنة 1961 م .
(4) مقالتان الأول بعنوان : أحاديث عابرة والثانية بعنوان : عندما انحنى السور بجريدة الغرب سنة 1965 م .
(5) المقالة الأخيرة وهى آخر مقالة كتبها الرقيعى ولم يكملها بعنوان : المنتمى بمجلة الرواد سنة 1966 م .

والنصوص ـ جملة ـ اتسمت بالرصانة والمعالجة الفنية المتمكنة إلى حد بعيد تبلورت فى أثنائها ـ بوضوح شخصية شاعر وكاتب مكتمل الأدوات وصاحب موهبة كبيرة تعى جيداً مسؤولية الحرف ورسالة الأديب التى هى أبعد ماتكون عن الترف والاستعراض .

إن جل هذه النصوص تنطلق من تجارب شعورية عميقة ومواقف مبدأية رسالية جعلت كاتبها بحق ضمير الشعب وصوته الجهير .

وبذلك يكون مجموع نصوص الكتابين خمسة وخمسين نصاً تم إخراجها من طي النسيان ولم يسبق نشرها فى كتاب وهى بحاجة إلى دراسة علمية منهجية فنياً وموضوعياً تضع الشاعر على الرقيعى فى مكانه بين معاصريه فى بلادنا وفى الوطن العربى وتكشف عن دوره فى الشعرية العربية الحديثة ومواطن الإبداع والاتباع فى شعره ونثره من خلال إعادة النظر فى الأحكام النقدية السابقة الصادرة فى غياب هذا العدد من النصوص الخارجة حديثاً من طي المجهول .

ولتسلط كذلك مزيد الأضواء على الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية فى ضوء هذه النصوص الجديدة التى تعد بحق وثائق مهمة تؤرخ لفترة حرجة على جميع المستويات وترصد بعضاً من أهم دقائقها وتفاعلاتها بعمق ومسؤولية وتسهم فى رسم أهم ملامحها بكل جدية وإخلاص .

ويقتضى الإنصاف قبل إنهاء هذه الكلمة الصغيرة العَجْلَى أن أسجل كلمة حقّ فاتنى الجهر بها فى الكتاب الأول وهى أن الشاعر على الرقيعى ضرب قليل المثال فى الانسجام بين القول والفعل فى أدبنا الليبيى الحديث على الأقل إن لم يكن فى الأدب العربى الحديث عامة .

فما أقل أولئك القابضين على النار والجامعين بين القول والفعل فى الأدب العربى .

أولئك الذين عرفوا مسؤولية الحرف وخطورة الكلمة فرفضوا المساومة عليها وبيعها فى سوق النخاسة.

لقد آمن على الرقيعى أن الكلمة سيف حق فى وجه الظلم والظالمين وأن كنوز الدنيا لاتساوى كلمة واحدة شريفة ترفض التدجين والتزوير والإلحاق.

ولعل ذلك أهم مفاتيح نصوصه الشعرية والنثرية والعلامة الفارقة التى تميزه من أبناء جيله من الكتاب والأدباء الأمر الذى أعطى لنصوصه طعمها الخاص وحرارتها الدائمة وتوهجها ونضارتها وتغلغلها فى وجدان المتلقى وتعبيرها عن اعتمالات الإنسان وتوقه الدائم إلى تكسير قيوده والانتصار على مستعبديه أعداء الحياة.

رحم الله علي الرقيعي الشاعر الذى لم ينحن راجياً أن أكون قد وفقت فى جمع شتات جل ماترك وفاء للشاعر واعترافاً بإبداعه ودوره النضالى - بالحرف الشجاع - فى انتفاضات شعبنا ضد العهد الملكى المباد التى كانت الثورة خير تعبير عنها وتجسيد لها.



٥٥

بشير العترى - مدرس الأدب العربى بكلية اللغات جامعة الفاتح - طرابلس.

٥٥ أولاً: الشعر

النص الأول

خواطـــــــر

هاجت الذكرى إلى الأوتار ياناى شجونى
فاعزفى الآهات والنجوى من القلب الحزين
لاتسل ماالشجو ؟ مالشكوى ؟ إذا همت جفونى
هاجت الذكرى وللذكرى جموح فى سكونى

* * *

لهفة خرساء تغرينى بأن أشدو طروبا
أن أعب الراح آمالاً وأن أنسى الكروبا
حيرة تهتز فى غورى فينهل لهيبا
يلقف الآمال [1] والراح فأحسو الهم كوبا

* * *

خلنى ياهم لاتقس [2] ففى الذكرى اجتياح
عاصف بالجرح لم يخبُ [3] فلم تشفَ الجراح
حائر لولاك ماالشكوى ؟ أللحزن اكتساح ؟
رابض ياهم فى قلبى ألم يأن السراح ؟

* * *

عشت والأوهام من حولى سجوناً أبدية
تزفر الألام أناتى نشيداً سرمديا
طارق محروم لم أمنح حبيبىْ طفيا
هامد والسر فى وهنى فهل يحنو على ؟

* * *

ها أنا شيعت أحلامى هباء للسديم
للبلى للصمت فى نعش كئيب فى وجوم
قد هصرت اليوم من عمرى شباباً بالهموم
زهرة قد فاتها الساقى فصارت كالهشيم

* * *

عشت للقبر على الهمس لم أنعم هناء
تنعق الغربان فى قفرى عويلاً وعواء
أين من يحنو على قلب شهيد البرحاء ؟
ينصح الشاكى لِمَ الشكوى ؟ لكى يشدو رواء

هاتى «5»ياأحلام من «نجوى» رحيق القلب هاتي
وامنحى أكسير سلوانى شفاهاً قانيات
لاترفى اليوم من حولى طيوفاً هامدات
فالهوى نشوان من «نجوى» رقيق الهينمات

* * *

قربى نهديك من صدرى ونامى فوق صدرى
للروا للحب للرؤيا على أنغام نقرى
ضمخي بالطهر أحلامى فوا أحلامي عمرى
كلها أشباح أوهام تجوب الليل قفرى

* * *

رتلى فى الفجر تسبيحاً إلى حبى الوليد
وامسحى ذا الدمع عن عينى على أمسى الشهيد
إن تجسى النبض فى قلبى تعى وقع النشيد
بالهوى بالسحر ترتيلاً مع لحن الخلود

□□

«1» فى الجريدة ، يلقف الأمل ، ولعل المناسب ما أثبته فى المتن وبه يستقيم الوزن

«2» فى الجريدة : لاتقسو .

«3» فى الجريدة : لم يخبو

«4» فى الجريدة : أمنح حبيباى ومابعدها لايعطى معنى والشطرة مختلة عروضياً .

«5» فى الجريدة : هات فى بداية الشطرة ونهايتها بدون ياء .

النص الثاني .

لم يمت .

إلى الأستاذ الشاعر : محمد أحمد سالم

نعم أنت حي أيا شاعري
وتشدو مع الطير أمّاهفت
وتبعث ألحانك الصادحات
وأنت شباب غضيض الإهاب

طليق تغني نشيد الحياة
وتجلو الجمال بديع رؤاه
على مزهر مستهام صداه
وقلب طموح لأسمى مناه

أتمضي ولحنك لمايزل
ورؤيا خيالك طيف الروا
وفيه تجلت مغانٍ حسان
أتمضي ومن سوف يزجي السناء

رقيق الغنا عبقري الوتر
تحف به فاتنات الصور
تضوع فيها أريج الزهر
ائتلاق الجمال فيا للقدر

أتمضي ومازلت ظامي الرغاب
فمن سوف يلهم خفق الشعور
ومن سوف يوحي نداء الشجون
ومن سوف يذكي لهيب الأوار

وعودك غض السنا الغامر
حنين الفؤاد أيا شاعري ؟
إذا ماتصابى هوى خاطري ؟
إذا غام ناي الروا الساحر ؟

يقولون ياللجحود الكبير
ولم ترثه ببكاء القصيد
ولا الخطب حرّك فيك الشعور
ولكن لماذا ؟ أحقًا ذوى

ذوى واحتواه الردى والعدم
ولا مض قلبك سوط الألم
ولا الهول هزّك حين أدلهم
أحقًا حوته كهوف السدم ؟

ولكنه لم يمت يارفاق
ولم تخب جذوة ذاك الشعاع
بلى لم يلفه ستر الغيوب[1]
فها هو يشدو لسحر الحياة

ولم ينطفى اللهب العارم
ولم يختف النغم الحالم
ولاضمه القدر الغاشم
وقد راقه الأمل الباسم

---

[1] صدر هذا البيت مختل عروضيًا .

النص الثالث .

ولكن لماذا ؟

تعاتبنى فتاة الحياة فى شكوى وفى ألم
وقد وأدوا صباها الغض فى زنزانة الظلم
وقد صاغوا لها الأغلال خوف العار والتهم
وهاضوا قلبها الطفلى بالإذلال والنقم
* * * *
تسائلنى ألا أسطيع أن أحيا كما أرغب
ولى تقرير أيامي ولى حق ولى مطلب
تحدجنى عيون أبي وتلعنني ولم أذنب
كأنى وصمة سوداء فى أعراضه تنشب
* * * *
أتدرى ؟؟ كيف يامحمود لاتدرى بآلامى ؟
وفى رجلى هذا الغل يحصى وقع أقدامى
يلوك عواطفى العذرا بميت حنين أحلامى
ويجتر الليالى السود من معسول أيامى
* * * *
أبي لذَّاتك الشوهاء[1] ماصنعت سوى بؤسى
وطيش رغابك الجسدية المعتوهة الخرس
قضى بوجودى الدامى ولم يخلق سوى يأسى
أسىً فى خاطرى المفجوع ياأبتى وفى نفسى
* * * *
وتزفر آهة حَرَّى تجيش بقلبها الكمد
ومابقيت من اللاشىء من أحلامها الهمد
سوى إجهاشة حَيرى لغبن مآلها النكد
ودمعات حبيسات بلاصبر بلا جلد

وكم شهقت يشنجها عصي الدمع فى جزع
تحدثنى عن ابن السيد المترهل البشع
عن الزوج الذى أختاروا لها فى غير ماورع

---

[1] فى الجريدة : الشهاء .

وقد أعماهمو [1] الديباج بالحقارة الطمع
* * * *
ترى محمود هل تدرى بمأساتى ، بأحزانى ؟
بإنسانيتى ديست قداستها بحرمانى ؟
بإرغامى لما يقضى أبى المتزمت الجانى ؟
وكيف أساق من أغلال سجّان لسجّان ؟
* * * *
أتنسى ؟ كيف يامحمود تنسى وقدة الحب ؟
تلظت بالحنين إليك فى عينى وفى قلبى ؟
وماصرحت ـ من خجلى ـ بشوقى الجامح العذب
وكيف غفلت عن أحساسى اللفهان عن عتبى ؟
* * * *
وجئت أبث للأوراق ظلمك العاتى
أصب شعورى المجروح مصطبغًا بآهاتى
وهدبى راعف بالدمع مشلول النداءات
واجهاش الحنين يموج فى دنيا انتفاضاتى
* * * *
وألهج باسمك المعبود فى ترنيمة سكرى
ويشرد بى النزوع إليك فى ديمومة خضرا
كأنك جانبى تروى غليل حشاشتى الحرّى
أساقيك العناق الحلو تلثم منى الثغرا
* * * *
وتجذبنى يداك بكل مافى يديك من قوة
ويحضننى دفء نداك غبّ حكاية حلوة
ونغرق فى المدى التياه فى صمت وفى نشوة
وأغفو ياهذا الحلم يالسذاجة الغفوة
* * * *
ويقتلنى السكون الجهم والجدران والغل
وشىء بارد كالموت فى الأعماق ينسل
وأفزع للشباب يموت فى قلبى وينحل
فلاحب ولاأمل ولادفء ولاظل
* * * *
وكنت أحن يامحمود للماضى لماضينا

---

[1] فى الجريدة : اعماهموا .

وأذكر كيف نضّرناه أورادًا ونسرينا
وكيف مررت بي وبسمت كيف وقفت لى حينا
فلف الحب فى أعطافه البيضا أمانينا

* * * *

وأذكر كيف حنَّ الشاطىء الغافى للقيانا
ولم نحفل ونحن نجوب كالأحلام دنيانا
ونحن نذوب ملء حكاية نسجت لنجوانا
أتذكر كيف طال السير ؟؟ ماأحلى حكايانا

* * * *

وجئت البيت يفضحنى شعور المذنب المجرم
وصوت أبي يلاحقنى كوهم قاتل أبكم
يطاردنى هنا وهناك فظ الوقع لايرحم
وأخفى عن أبي وجهى أخاف أخاف أن يعلم

* * * *

وكم يازارع الأزهار فى قلبى تصورت
رؤى المستقبل المغموس فى الأحلام كم تهت
هنا فى غرفتى أقراك سطراً فيه تمتمت
بأعذب غنوة خضرا تبيت معى إذا نمت

* * * *

وتطفر غنوتى الخضراء فيروزية اللحن
على شفتى تحوك الليل خيطًا أشقر اللون
وتحضن دمعتى تنساب فى نفسى وفى أذنى :
ترى أنساك ؟ لن أنساك رغم الشك والظن

* * *

ومرَّ الشهر كالكابوس جهمًا كالح الذكرى
فما غازلتنى لاصغت لى حبًا ولاشعرا
وخلت بأننى ماكنت ذكرياتك العذرا
وكم أبكى وكم اشتاق هل تدرى ؟ سل الشهرا

* * *

أتنسى والأمانى البيض من يشدو بنجواها ؟
وأمسية الهوى والحب من ينظم حكاياها ؟
وذكرى البسمة الأولى أتطمسها أتنساها
وتقسو [1] آه ماأحلاك لو تقسو وترعاها

« 1 » فى الجريدة تقسوا

ومرت أشهر أخرى ولم ألقاك لم تأت
كأنك لم تقل لى أنت كل سعادتى أنت
وكم قضيت طول اليوم أحضن شرفة البيت
لعلك ياعنيد القلب تأتى آه لم تأت

* * *

وماذنبى ؟ ألم أطعمك من قلبى الهوى العذبا
ألم تشعر بنبضى اللاهث المشتاق ملتهبا
ألم أعبدك فى صحوى وفى إغفاءتى حبا
أكان هواى يامحمود المتعجرف الذنبا [1]

* * *

وما انفكّ الحنين لظى وما انفكت نداءاتى
دعاء ضارع الآهات لوتدرى بآهاتى
وظل خطابك الوردى تعزيتى رعلّاتى
أتأتى ؟ هل ترى تشتاق ؟ يالفؤادك العاتى

* * *

وكنت تزورنى كالطير مشتاقًا لأنثاه
تسقسق لى أغانى الحب تشرد بى لدنياه
خفيفًا مترعًا كالظل فى أحلى عشاياه
أجافى قيس ؟ ياقيسى ألم يكلف بليلاه

* * *

لماذا والسؤال الحائر القاسى يلاحقنى ؟
لماذا غصة خرساء فى صدرى تدمرنى ؟
ترى محمود كيف تطيق هذا الوهم ينهشنى
وتدفع بى لذاك المقرف المغرور يدهسنى

« ١ » فى هذه الشطرة اختلال وزنى

النص الرابع .

أجل أنت حرة [1]

قرأتك شوقًا جموح التوقد ثرَّ الحياة مريدا
ولحنًا يموج بصدرك حلوًا
يسيل مُنى ويقطر شجوًا
عنيفًا كأحلامنا كالحياة وأقوى
من الغل من كافرات الزوايا التى حجبتك سنينا
كعنف نداءاتنا تتحدى قيود الغباء
كقلبك يزخر فيه الحنين لجدول ضوء
لغمرة دفء
لإشراقة تتنسم سحر الحياة
قرأتك حرفًا حزين النداء كأحزان نفسى
كعمرى المضيع
فعانقت فيك ربيع الشباب وقدست فيك التطلع
لدنيا يلذ
لك الغد فيها دفوق الهناءات يبدو
سُدًى ياانطلاق الأمانى سدى تمحينا
سدى يخنق الكبت فيك الحنينا
لأنك رغم الدياجى
ستبقين تستقبلين الضياء الذى تنشدينا
سيشرب صدرك دفء الحياة سينمو
ستلثمه الشمس سوف تصلى على وجنتيك
ستغدين حرة
سدى يعرف اليأس درباً إليك
سدى يتعالى عليك
لأنك ثورة جيل إرادة بعث وقوة خلق
لأنك فينا حرارة هذا الشباب وصرة شوق
أجل أنت للحب مثلى غداً ستوشوش فرحة
على اثر لمحة
لقلبك تبرق فيه وتغفو
رؤى حلم دافىء وابتسامة

يهل عليك غمامة
بإبريق دغدغة حلوة الامنيات
بكلمة حب تفاصيلها لاتقال
بكل الذى ترغبين
بكل الذى تنشدين
غداً يتلاشى على ثغرك الحلو هذا الذبول
وهذا المحول
ويندلق الصفو فى وجنتيك
وتغدين رغم التقاليد رغم الغباءات حرة



« 1 » كتب الشاعر هذه القصيدة رداً على محاولة شعرية نشرتها جريدة طرابلس الغرب بتاريخ 8 / 10 / 1957 للآنسة فتوح مجيد التكريتى بعنوان « اهذا عمر » ؟!

والمحاولة على تواضعها شكلاً ومضموناً صرخة عالية ضد واقع المرأة العربية المأساوى وجدت صداها البالغ لدى الشاعر وحركت فى نفسه التعاطف الحميم إزاء قضية الحرية عامة وحرية المرأة على وجه الخصوص .

وقصيدة الرقيعى جسدت جانباً مهماً ورائعاً انطوت عليه نفسه هو تواضع الفنان الحق بعيداً عن التعالى والادعاء الذى يحلو لبعضهم ممارسته على المبتدئين .

النص الخامس

عندما أراك

لأجل عينك الشهدية الحنون
لأجل أن أراك فى وشاحك الملائكى تخطرين
رشيقة وتقبلين فى وداعة الحمام
وديعتى كعامل يعود مثقل الحنين
من بعد طول كدح مثقل الحنين
لطفله مع المساء يحمل الحياة
والنور وابتسامةوصرتى حنان من قلبه الكبير
لأجل رنوة اليك تغسل الأحزان
عن خاطرى وتزرع الصباح أمنيات
حبيبتى صليت فى تبتل القديس
صليت كى يصونك الإله
له أنا وديعتى أعج بالدعاء
لإجل أن يظل عمرنا أغانى
نصوغها لمجد شعبنا العظيم
لموسم الزيتون والنخيل فى هضاب
بلادنا الحبيبة السمراء فى شعاب
حقولنا الرحيمة اللقاء فى سهول
جبالنا الوضاء
للفل للأقاح
لباقتين من ورود. أرضنا الرؤوم
للمنجل الرحيم
فى زمن الحصاد عمرنا أغان
لفرحة الفلاح فى محافل الربيع
لموسم الزهوروالشباب والحنين
للفرح السكيب فى قلوب الأوفياء
وصانعى الحياة فى بلادنا السمراء
والحب والزهور
لثورة النضال تبدع السلام

والشوق والغرام
فى قلب عاشقين أسمرين وادعين
وديعتى وطيبتى يحلمان بالصغار
بالنور يغمر الحياة فرحة ويطلع النهار
ويدفق الجمال فى براعم الأزهار
كحبنا العظيم
لشعبنا العظيم

□□

النص
السادس

لست أنسى

آه يا فجر شبابي كيف أنسى ؟
ذكريات لم تزل تطفح أنسا
يوم وشوشت غرامي لك همسا
يوم نادى وجهك الضاحك قلبي فالتقينا
فرحة تشرح للشط خفايا جانحينا
تسكب البوح وأحلام الهوى في شفتينا
ياحبيبي خل عنك اللوم أني لست أنسى

* * *

أنت ياحلم غرامي الأول
بهجة الدنيا ودنيا أملي
أنت قبل البدء قبل الأزل
غنوة رددها القلب حنيناً وهياما
وتعاطى حسنها الساحر شوقاً وغراما
فإلام ياحبيب العمر لاتدرى إلام
إنني أعشق في عينيك ذاتي أفأنسى ؟

* * * *

زهرة العمر ويا أُنس الحياة
كيف أنساك وأنسى ذكرياتي ؟
ولدى عينيك أحلى صبواتي
ياحبيبي أنا من سحرك ظمآن أرتويت
شفني الحب وأغواني ونادى فمشيت
أسفح الخطو ارتعاشات وفي الحب أمحيت
آه يا فاتنة الدنيا تراني كيف أنسى ؟

النص السابع

رغم الطغيان

أخى العربى فك الأسر قطع قيدك الأسود
ومزق قبضة السجان لاتخضع ولا تسجد
وناضل للمصير الحر كافح بطشة السيد
فهذى يدى أمد إليك يضمنا الموعد

* * * *

أجل لن يمكث المستعمر المسعور فى بلدى
ولن أرضاه يرسم لى ظلام مصيرى النكد
ولن يبقى ولن أرضاه يوثق ساعدى ويدى
وفى شعبى انتفاض قوى قوى خلقت لفجر غدى

* * * *

أخى ياثورة الأوراس ياأحلامنا الخضرا
سنسلكه طريق الليل سوف نعيده فجرا
سنسلكه برغم الظلم يوم الوثبة الكبرى
سنسلكه وتضحى الأرض أرضى مرة أخرى

* * * *

أخى من نحن ؟تعرفنا الدماء الحمر أحرار
جراحات بلا ألم بلا دمع وتزآر
ويعرفنا دوي المدفع الرشاش والنار
أخى لن يرجع الثوار إن لم يشتف الثار

* * * *

فرنسا ليس يرهبنا ظلام السجن والغل
فصبى نقمة التنكيل فوق جلودنا تغلى
فلن نخشى حبال الشنق والتعذيب والويل
فقد ثرنا أجل ثرنا على الطغيان والذل

أجل ثرنا تقحمنا أزيز النار والمدفع
فما أروع خط النار عبر الليل ماأروع
هنا يالعنة التاريخ منا العين لاتدمع
فهاتى واحشدى ماشئت لن نخشى ولن نرجع
فرنسا ياضمير الوغد لن نبكى لقتلانا
ولن نبكى شباباً ريق الأحلام ريانا
ولن نبكى حبيبات خلقن لهمس نجوانا
فدى الحرية الحمرا فرنسا كل صرعانا

* * *

فرنسا نحن إن لم نقلب التاريخ لاكُنَّا
بطولات على الأوراس تحكى للدُنا عَنَّا
غداً نأتيه موطننا سنهتف فى هوى عدنا
أجل يالعنة الأجيال سوف نقولها : عدنا

* * *

سنرجع رغم أنف الظلم للغيطان والحقل
ويحضننا شذى النسرين والزيتون والنخل
ونجمات الصباح التسع أحبابى ستهتف لى
ومن أجلى سيخضل الروا والحب من أجلى

□□

النص الثامن

بعد عـــــــام

لم نعترف يوماً بأنَّا أغبياء
سخفاء نبني فوق أعمدة الخيال
قصراً وشيئاً فى مدي اللاشيء نبنى فى ليال
أوهامنا ندعوه سخفاً لايقال !!
ونظل نجتر التعابير المنمقة العذاب
نحكى ونصف فى انفعال
ونصب فى كلماتنا الجوفاء ثورتنا على هذى القيود
ويمر عام
والليل والأوهام مازالت تطاردنا ويمر عام
عبثا ومازلنا نعيد
نفس الحماسات الهزيلة فى انفعال
من دونما جدوى وننكر أننا جثث تردت فى ظلام
أيامنا السوداء موتى فى قبور
هذى التفاهات الحقيرة للضياع
عام يمر وأنت لاتدرين مامعنى الشقاء
بكماء يطحنها الفراغ ولا تعين
ألم التمرد والحنين
ألم النداء الصارخ الهدَّار يحتضن الحياة
لربيع جيل ثائر لا تدركين
ألم التطلع للضياء

* * *

عام وبعض العام أخيلة وذكرى وانفعال
محض انفعال
محض انتظار تافه السلوى كأحلام العبيد
ولهات حرف ماتزال
أهاته الشكلي تصور ماتزال
حلماً « وشيئاً » فى مدى اللاشيء دنيا من خيال
من أمنيات فجة الصبوات تخنقها القيود
والخوف والجدران والفكر البليد

عام ومازالت مقابرنا ومازال الموات
آلافهم مثلى ومثلك يدفنون
فى ظلمة الردهات كالجرذان آلاف الموات
يتمزقون بلا حنين
يتمزقون ويهمعون
كالجرذ كالخفاش ينكرنا الضياء
مازلت مثلك ضائعا أبكى ويطحننى الفراغ
واللامكان
لاشىء ياأختاه نملكه سوى الذكرى وأوهام الخيال
لاشىء حتى ثورة الحقد الدفين
حتى الشباب الحالم المعسول جف به الربيع
ورأى أمانى ... حلوة حتى الشباب
لاشىء غير دموعنا والخوف والفكر البليد

□□

« ا » فى الجريدة : أمان

النص التاسع

الحنين النبيل [1]

تحية عربية خالصة للأنسة الكريمة : هيام الدردنجي اعتزازاً بشاعرية رقيقة فذة وأملاً في العودة إلى فلسطين الحبيبة .

أريقي نشيدك في مهجتي	ونادى ونادى ولا تصمتي
وصبيه يكوى جبين الحياة	وشمساً تضيء بلا ظلمة
وخليه لايعرف المستحيل	قوياً على مسمع العزة
ونايا يشد عوالى الكفاح	على عاصب الجرح والغصة
أريقيه مستهزئاً بالخطوب	بالظلم بالدمع باللوعة
أريقيه ملء سماع الوجود	وثورى على الليل والعتمة
وشقى ظلام الغطيط الكريه	وشقشقة النطق والخطبة
وهبى فنحن اختصار الطريق	وفيلقه في مدى الرحلة
بلى نحن ياأخت جيل الفداء	صحونا على حالك النكبة
صحونا وفي كل قلب نزيف	تخضب بالجمر بالعبرة
وحشد يسوى طريق الرواح	إلى السهل والحقل والغوطة
إلى كرمة عمرها ألف عام	إلى ملعب النور والصبية
إلى مرتع لم يزره الخريف	تدثر بالدفء والفرحة
إلى صبح «يافا» وحيث تضوع	زهور ربى سهلها الحلوة
أجل نحن ياأخت هذى الزنود	تمور تضج إلى الوثبة
فصبى نشيدك ملء الكيان	وخليه يهزأ بالدمعة
أريدك عملاقة كالحياة	وغضبى وكالنار كالثورة
وكالموت تقتلع الحادثات	وتقتات بالحقد والنقمة
جنيناً إلى ليس يبدو قرار	ونبضا يدمدم باللهفة
أريدك ياأخت لاتعرفين	جموح المسافات والغربة
لنا نحن في فيلق الزاحفين	طريق إلى النور والعزة
سنسلكه رغم أنف الزمان	سنمشيه رغم الزمان العتى
لنانحن وليحشد المجرمون	قوى الشر والبغى والخسة
«يمين» كتبناه فوق الشفاه	وملء الخناجر والنظرة
«يمين» كتبناه فوق الصخور	وفوق المشانق بالجمرة
«يمين» بلون دماء الشباب	ولون الشقائق في قريتي
وفاء إلى أن يطيح الظلام	ويرمى بأسلاكه الفظة

مشاعل هذى الوجوه الظماء
اصيخى ترى وثبات الرصاص
إلى ملعب فى رفيف الغروب
إلى الموطن العربى الكبير

هو القلب مثوى الحنين النبيل
وطرف تداعبه الذكريات
وسرب الفراشات حلو الضياء
ويلثمها فى التماع العبير
وفى شاطئيها ينام المساء
رؤى حانيات كوجه السلام
هو القلب مهبط هذى المروج
فخليه ياأخت نبضًا جموحا
وشديه رغم دياجى الفراق
شراراتنا تلعن الساقطين
وشدى على الجفن لاتجرحيه
ورويه من كبرياء النجوم
ومن فورة الجرح خلف الضلوع
وخليه ظمآن للزنبقات
وخلِّى أناشيدك المترعات
ولحنًا يمزق صمت القنوط
بطولاتنا ياابنة الفاتحين
أنا لم أزرها بلاد السلام
فلسطين ياصيحة الكبرياء
سآتيك فى موكب العائدين
سآتيك فوق جناح الغمام
سأحضره مهرجان اللقاء
وأشدو وأشدو ويشدو الرفاق
فلسطين جئناك هذى الجموع

وهذى الهتافات من إخوتى
تنير الطريق إلى العودة
تملَّى من السحر والنشوة
وشعب المروءات من أمتى

ترقرق بالوجد والرقة
وزقزقة الطير فى الضيعة
يدندن للعشب والزهرة
وسربلة المرج بالخضرة
على أذرع الأنجم السبعة
كدغدغة الطفل كالغنوة
ونهر من الحب واللهفة
يحن إلى موعد الساعة
وغمغمة الحزن والزفرة
وموال «حمرين» للأوبة
وخليه مستعر اليقظة
من الشمس من شامخ الجبهة
من العسف والظلم والقسوة
لقهقهة البيت والساحة
تطاول جيلا قوياً عتيا (2)
ويذكو لظى الثأر فى الآهة
«بحطين» تكفر بالذلة
ولكن سأشدو بكليتى
سألقاك ألقاك يابلدتى
لأنظم للقدس أنشودتى
لأغسل بالنور قيثارتى
وأسكر حتى لغيبوبتى
وتشدين ياأخت فى فرحة:
تلاقى تلاقيك ياجنتى

○○

«1» هذه القصيدة كتبها الشاعر ردًا على قصيدة الشاعرة : هيام الدردنجى المنشورة بجريدة طرابلس الغرب فى 13 / 1 / 1959 م

بعنوان ـ حلم العودة يقول مطلعها

دعونى أرتل انشودتى:وأصحو مع الليل والظلمة

«2» فى الجريدة : تطاول جيل قوى عتى

النص العاشر

إنى لتبهرنى المروءة والحجى [1]

وطنى لغيرك ماتضرم فى دمى ... حب ولاانثال القريض على فمى
ولغير ربعك ماكتبت قصيدة ... وبغير ربعك لم أهم لم أغرم
وطنى « أشيلك » خفقة جياشة ... ملء الضلوع بحبك المتضرم
وطنى « أشيلك » فى دمائى معقلا ... للكبرياء ومرفأ للأنجم
واصوغ للتاريخ منك حكاية ... بسوى البطولة فيك لم تستلهم
وطني لغيرك ماانتميت ولم اكن ... إلاّ لواديك الخصيب الأنعم
مازلت فى عينى أخصب مشتل ... منح الغلال قبيل جنى الموسم
مازلت شباكا أطل به علي ... دنيا الصباح على المصير الأكرم
مازلت ياوطن الزنابق موئلا ... للشامخين ومعبر المتقحم
لاتسألونى كيف عانق موطنى ... ألق الشموس وكيف لم يستسلم ؟
ومشى إلى التاريخ يكتبه هدىً ... بفدى البطولة بالضحايا بالدم
ويشد فوق الجرح قلباً مفعماً ... بوركت ياألم الفؤاد المفعم
وطنى كفانى المجد أنك موطنى ... وكفاء شامخة الذرى أن ينتمى
ناديت باسمك والقريض يهزنى ... يشدو لشاعرك الكبير الملهم
أبقاه شدوك فى حناجرنا صدىً ... مازال موصول الندا لم يفصم
مازال ياأبتاه حلماً مترعاً ... يذرو النجوم على دياجى النوم
ويخط للتاريخ كيف تألقت ... أنشودة الشعب الذى لم يهزم
مازال بيرقها الذى لم ينتكس ... يوماً وشاعرها الذى لم يفحم
وضميرها الوطنى مهما اظلمت ... سبل الحياة لديه لما تظلم
إنى لتبهرنى المروءة والحجى ... ويهزنى من لايذل لمغنم
وطنى « أشيلك » فى دمائى شاعراً ... لسوى الرجولة فيك لم يترنم

« 1 » تقول مجلة صوت المربى ان هذه القصيدة ألقيت بمناسبة الذكرى السابعة لشيخ الشعراء المرحوم : احمد الشارف واذا عرفنا ان الشارف توفى 11 / 8 / 1959 م فيكون التاريخ التقريبى لنشر القصيدة هو عام 1966 .

ويقتضي الواجب ان اشير الى اننى حصلت على هذه القصيدة والقصيدتين التاليتين من الكاتب المسرحي : البوصيرى عبد الله فله وافر الشكر والمحبة .

والقصائد خلو من تاريخ النشر ومن اية معلومات عن المجلة التى نشرت الشعر .

النص الحادى عشر

حنين

سجا الليل يالفتة الأمنيات   وحطّ الدجى رحله واعتكر
وران الظلام على الخافقين   وساد السكون ومَلّ السمر
وساق الحنين طيور السماء   لأوكارها فى حنايا الشجر
ولم يبق فى الكون حى سواى   سوى قلبى الواله المنفطر
تمر به ذكريات الصبا   بأطيافها الوادعات الصور
على موكب من عذارى الجمال   يسير رويداً رويداً يمر
يقبلها فى حنان برىء   أريج الورود وعطر الزهر
ويهفو إليها النسيم العليل   رقيقا يداعبها فى خفر
وتنشد فى جوها الشاعرى   نشيد الهوى فاتنات الدرر
وترقص فى جذل وانتشاء   لها حين يشدو حفيف الشجر
فينساب نبع الفتون الغزير   بقلبى كنهر طفا فانحدر
يروى جوانبه الصاديات   ويرفع عنها الأسى والضجر
وينعش فيهن لحن الحياة   كما ينعش القفر فيض المطر
أهيم بتلك الرؤى الرائعات   ويجمح شوقى لها ويفر
إلى عالم شاعرى الخيال   غزير السنا والروا المزدهر
ترف به * راقصات الجمال   بتدويمها الفاتن المستمر
وتنشر أزهارها الفاغمات   أكاليل غار الهوى المنتصر
وتأتى عرائسها السابحات   بعرشٍ إله الجمال الأغر
لينشدن أروع لحن الخشوع   لطيفا لأمال جنى النضر
ألا ياشروق الصباح الجديد   ويافتنة الواله المنتظر
تعالَ هنا فى الهزيع الخير   نلاقى معًا نسمات السحر
تعالَ لمرتع حبى الخصيب   لنغفو كلانا بحضن القمر
ونسمع لحن السكون الكئيب   تنغمه حاسرات الشعر
بنات الهوى فى ربيع الشباب   ترتله فى حنين الوتر
هو الليل مهد الجمال الرحيب   ومنبع وحى الأمانى الغرر
يفيض حناناً علينا ونحن   وحيدين لامنصت أو بشر
سوى خَفَقانٍ لقلبى الحنون   وأشواقه بالهوى تستعر
إلىَّ تعالَ تعالَ هنا   فقد برَّح الشوق حتى كفر
أيحرم قلبى سناك الجميل   ويضنيه قيظ الجوى والسهر ؟
أتحرم روحى بهاك الوديع   وتشرد فى مهمه لايذر ؟
أصيخى أيارية الملهين   لقلب بآماله يحتضر
يكبله القيد فى قسوة   ويطفى عليه جموح القدر

□□

النص
الثانى عشر

أحبك

يقولون عنَّا سيطوى الزمان   هوانا ويذبل أيامنا
ونحن لنا ياحبيبى الضياء   تملى بحلو ادكاراتنا
لنا الحب نحن وهذى السدود   ستهوى ستنهار قدامنا
لنا الحب كل الوجود الرحيب   ترقرق من عمق أعماقنا
لنا الحب وشوشة لاتقال   وسر تفتق مابيننا
لناياحبيبى تغنى الزمان   وضم هوانا وأحلامنا
سدى لايرف عبير الزهور   وشدو النسيمات إلّالنا
فمن غفوة عمرها قبلتان   تندى تطرز تاريخنا
وإنا لتعرف عنا النجوم   حكايات لقيا ظهيراتنا
وهمسًا عببناه غب انتظار   طويل اضعناه من عمرنا
ومن نحن لولا لهيب الغرام   أيأتلق الضوء فى روحنا ؟
أيخصب فينا اخضرار الحياة   أتدرى الشحارير من أننا ؟
سدًى ياحبيبى سدى أن يقال   بأنا خنقنا ضحيكاتنا
وأنا أضعنا حكايات صحو   هريق تموسق من ظلنا
تصاويرنا وارتجاج الضياء   بعينيكٍ تنبىء عن حبنا
وفستانك الأصفر المستهام   وقد شفّهٍ الوجد ماشفنا
وفتحته فوق « مجرى الطيوب »   تمور مُنًى وتضوع مُنَى
أعانقها أنا دنيا هدايا   وأحلى الهدايا تصاويرنا
أحبك مازلت توق العبير   لظل تعشق من منحنى
وأرجوحة من خيوط الضياء   وضحوة دفء وبوح غنا
أحس أنا إذا غمسّت قلبى   بعينيك أشعر أنى أنا
وأنك فى انفلاتات لحن   ترنم يوماً بأفراحنا
أحبك حتى كأنى أحس   بأنى فوق امتداد الدُّنا
وأنك لى لى لقلبى الصغير   جديول نور وحقلى هنا
إذا لم نكن نحن سر الوجود   فمن سوف يشتاق من بعدنا ؟
ومن سوف ينبى انهار العبير ؟   بأنامنحناه أشواقنا ؟
وأنا شربناه ذكرى لقاء   وكنّاه من قبل ميلادنا
روى حلم زنبقى الظلال   شربت أنا كنهه مُدْمِنَا
على مرفإ من عشايا الحنين   وقد أحرق الشوق أحساسنا
ونحن نرش على الدرب أحلى   خطانا وأولى ابتساماتنا
وأذكر كيف يروق الصباح   ويستدفىء الضوء من حولنا
إذا نحن جئناه ذوب انجذاب   ولهفة روحين تغرى بنا

تـرانى كيف ألاقـى الـدروب
وهـذى الهنيهات تسـأل سرًا
ويسـأل عنا الـزقـاق الـطويـل
وهذى العصافير كيف ستسلو ؟
ونحن كشفنـا عن الحب دنيـا
أحبـك مـازلت هـذى السـدود

إذا سـاءلـت عن لـقـاءاتنـا
وتشتـاق عـطشى لأخبـارنـا
إذا عـانق الـظل ميعـادنـا
وكيف تـزقـزق من غـيرنـا ؟
حمـلنـا لـواءاتهـا وحـدنـا
ستهـوى ستنهـار قـدامنـا

□□

ثانياً : النثر .

النص الأول .

دعونى ياصحابى .

دعونى صحابى أتوغل فى مطاوى هذا الظلام ومسارب هذا الوجوم لأتبين مجاهلها ولأسبر غور مهواتها السحيقة ، فعزمى حديدى لست من ذوي النفوس الخانعة والقلوب الهاجعة .

دعونى أسير وحدي وفى كنانتى سهم الانعتاق سأتشبث به عندما ينطق نحو مطارح الأمل النائية وعبر مفازة من الأخطار والمخاوف وطريقى محفوفة بالقتاد والأشواك الدامية ودربى ليس لاتجاهكم فإنه خاص بى مظلم مهول مفزع .

دعونى فقد حان موعد الوداع ليس ثمة داع لاشفاقكم على انطوائيتى الحزينة ووحدتى الكئيبة وهاهو النداء السرمدى يدعونى إلى المجهول وقد نصبت شراعى وتهيأ زورق الخلاص للإبحار فى اليم الصاخب الأمواج الثائر العواصف وعلى شفتى تفتر ابتسامة للأمل العذب وطيفه المجنح يرفرف حوالى وتنطلق كل جارحة من جوارحى صادحة بمقطع جميل لأغنية عذبة تنساب بأذنى فى رقة وتطرق أوتار قلبى فيعى رجعها الإلهى الرتيب إنها أغنية الملاح ... الملاح الذى يرتسم شاطىءالأمل فى كل لفتة من لفتاته نحو الأفق ويتراءى بمخيلته مرفأ السلام مع كل مد وجزر يدفعه للأمام ويرجعه للخلف .

دعونى رفاقى فإنه من السخف أن أحزنكم باكتئابى ويستدر حالى تأثركم ودموعكم التى يجب أن تكون باقية فى مآقيكم فمن الحماقة أن تسكبوها إشفاقًا وتأثراً لى فإن قلبى طافح بالايمان والعزم زاخر بنهر المحبة والطهر وأن الدموع والعرق التى تنضح منى هى ماء الحياة الذى يطهر براقع نفسى ويمحو عنها آثار اللطخات ويرينى ناصعًا أمام وجه الشمس الخالدة فمالكم وشاب تاه فى غمرة السهوم ضاع خلال مفازات مجهولة المعالم وعرة المسالك والمنحنيات .

دعونى فقلوبكم هانئة عامرة بالسعادة والسرور فهنيئاً لكم . هبوا أنتم إلى الأذرع والأكتاف العارية فقد جن المساء وران الظلام .

إذن هبوا إلى الأحضان لسكنكم فى جنات حبها وفراديس حدبها أما أنا فسأدخل على قلب هذا الدجى الساجى وفى يدى فانوس الإيمان وسراج الأمل ينيران لى مسالك الطريق واتجاهات الدروب متخطيًا الأشلاء والجثث التى سقطت بعد أن رفسها الدهر بنعاله القاتلة سأسير إلى حيث يروق لى فالطبيعة أمي وأرض الله مسلكى وأنى صبور على الأهوال لأننى ابن الألم فالأب كثيراً مايقسو على ابنه ليعلمه الصبر والجلد واللامبالاة وكثيراً مايمضه بسوطه القاسى ليغرس فيه بذور المجد والخلود والاعتماد على النفس .

دعونى رفاقى فأبى رحيم لايريد بى سوءا ففى بوتقته السحرية صهرنى وسيتعهدنى بالنقاء والصفاء اركنوا أنتم إلى سعادتكم الغريرة فهي ماتزال غضة يانعة أمّا أنا فأمامى جهاد شاق وحرب ضروس لاتضع أوزارها هنيهة الاوتعيد الكرة والكرات سأجاهدها

وبيدى معول الفلاح الكادح ومنجل الحاصد المكدود اقتات بحبات العرق واتدثر بأسمال العامل أمّا أنتم أيها الصحاب فحياتكم رغيدة ليس فيها مايكدر فدعونى ولاتحفلوا بحياتى أضعها أنى أردت وأتردى بها حفرة الهلاك إن شئت وارمى بها فى مهاوى الردى لامن يردنى أنا حزين فلا تحفلوا بالحزانى النائحين فقد تصيبكم منهم عدوى أنا متألم فلا تقيموا وزنا للباكين المتأففين ففيهمماينكد عيشكم ويعكر صفوكم بهذا الاكتئاب الأحمق .

دعونى لأتعبد فى المحراب الذى شيدته فى قلبىّ وصلواتى وخلجاتى وعلى هيكل الشاحب جبة القسيس الحزين وسأحرق فيه بخور قلبى متضوعاً يملأه عطراً وجلالاً وهاصراً نضارة شبابى ومريقاً ذوب أحداقى قرباناً على مذبح الجهاد وسيروا أنتم إلى عذارى قلوبكم وفتيات أحلامكم وعرائس سعادتكم لتتبادلوا معهن النجوى والآهات ولتسكبوا أشجانكم وحنينكم إليهن عند ملامس القبلات والضمات ومع كل همسة.

من همسات القمر وعند كل خفقة من خفقات الوجيب المستعر تنبعث الابتسامات الحالمة ويضرم أوار الحنان الملتهب والحب المشبوب أما حبى أنا فالجمال الأعظم منعبه أهيم على تغريد عرائسه الهامسة فى الملكوت المقدس حيث اجثو ومعى قلبى ووجدانى وروحى ترتل معى المراسيم الأزلية الخالدة التى صاغها فتى الحب والحياة .

دعونى رفاقى فأنا لست منكم وأنتم لستم منى ولاأمت إليكم بصلة أوبوشائج البتة فعالمكم لايروق لى البقاء فيه لأنه خاص بكم وحدكم وجوكم مشبع باللهو والقصف والمجون فها جنوا والهوا واقصفوا مع ضحاياكم المنبوذات الطريدات أما أنا فسأسمو إلى عالمى الذى اخترته لنفسى حسب ميولى وأهوائى فاتركونى ومالكم لهذيانى وغشيانى المضللين ومالكم ولفكرى الساذج الغر وماعليه على هذا العقل الأحمق الذى مسه الجنون العابث ببقايا أحلامى الكسيحة وسأسير أكافح وأجاهد عن مطلبى وإن كان وراء الحدود اللامتناهية فأنتم ترون هذا ضرباً من المستحيل واللامعقول وأنا أرنو إليه فى حنين ولهفة وكأنه تجسد أمامى حقيقة باسمة لذلك فنحن مختلفون فى هذه النظرية

التى تعزونها أنتم للمستحيل والخطأ فلهذا رجوتكم بألا تحفلوا لهذا الخيالى الممعن فى السراب المتشبث بالمستحيل دعوه وشأنه يسبح فى تمعنه وسرابه وأهامه.

أى صحابى اتركونى أجوب الفيافى المجدبة فالهجير لافح لايرحم وأجسادكم مرهفة وأقدامكم ناعمة لاتقدر على القيظ وسياط الحر المفزعة اتركونى فعلى شفتى تنساب أغنية الرعاة الشجية اتغنى بها لأستفز الصمت ولأعكر صفو السكون بأناشيدى وآهاتى لتقودنى إلى الهدف المنشود فعبر نهر الانطوائية إلى بحار الوحدة والعزلة سأنشر القلاع ولم يزل فى قيثارى وتر محموم يتأوه بألحان المحبة والسلام فتسمعها الأطيار فتهفو إليها فى تحنان ولهفة وتظل تردد مقاطعها وتكرر رجعها وفى كل مقطع تذرف الدموع ومع كل آهة تنبعث الآهات لاتشفقوا علي أيها الخلان الأعزاء فأنا أكره هذه الإهانة ولاترثوا لحالى أيها الرفاق فأنا أمقت هذا الجميل الذى تسعون أنتم لتسدونه إلي.

دعونى لوحدى يؤنسنى قلبى لأنه وحيد مثلى وكلانا رحيم بصاحبه اتركونا لوحدنا إلى أن يجد حبيبه وأجد أملى.

ـ الفكرة مقتبسة ـ

□□

النص الثانى

محاولة نقدية :

مسرحية عمر المختار بين الواقع المادى والذهنية البحتة

الأخ الأستاد عبدالله القويرى وجه جديد مشرق من وجوه ثقافتنا الوطنية الوليدة عرفناه قصاصاً وكاتباً موفقاً إلى حد كبير من خلال كتاباته على صفحات جريدة فزان وجريدة المساء.

والأستاذ عبدالله غزير الانتاج يكتب بجد ويستطيع القارىء أن يلمس بصدق حرارة التجربة ومعاناته لها وأخلاصه لموضوعه.

ومسرحية عمر المختار إحدى سلسلة هذا الأديب ولقد أهدانى منها نسخة تقبلتها فى كثير من الاعزاز والإكبار والتقدير والملاحظات التى سأوردها هنا لاتقلل من قيمة المسرحية كعمل أدبى يعتبر الوحيد من نوعه فى ثقافتنا الناهضة بالإضافة إلى خطورة هذا النوع من الادب وافتقار الأدب العربى منه بصورة عامة قدر ازدهاره للشعر والقصة والمقالة مثلاً أى أن المكتبات العربية ظلت مدة طويلة لم يتح لها أن تحتضن هذا النوع إلاّ بعد ظهور الحركة التفاعليه للأدب العربى فى مجالها الواسع بالآداب العالمية والاستفادة منها وتأثره بالثقافة الغربية خاصة ولست هنا بصدد تاريخ المسرحية فى أدبنا العربى بقدر ماأقصد التنويه إلى حداثة ظهورها وعمق خطورتها وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول إن مسرحية عمر المختار ليست عملاً أدبياً فقط ولكنها أيضاً جهد ومعاناة وكسب للمكتبة العربية كما أن الموضوع الذى تناولته يعتبر أكبر حدث فى تاريخ أمتنا العربية الناهضة.

فهل وفق المؤلف فى رصد هذه الحركة لما يعكس خطورة دورها فى التاريخ القومى ؟ ومامكانها من الثورات للعالمية الأخرى ؟ وماهى مميزاتها ودلالتها عبر التاريخ ؟

هذا ماسأحاول بكل إخلاص تناوله فى مقالى هذا.

والواقع أن المشاهد العامة لجو المسرحية كانت ملائمة جداً بحيث اكسبتها الطابع البيئى إلاّ أن السردية وحشد الكثير من المواقف وزع الحركة التطورية للأحداث إلى مايشبه عملية تجزئة فى البناء الحركى خاصة مادار فى الحوار الفلسفى والانفعالى الذى يأتى فى بداية الفصل الأول عن حقيقة الخيانة والضعف الأنسانى مما لا يتوافق ونفسيات الشخوص المسرحية المتغايرة المتميزة فهى كما يصفها المؤلف فى المقدمة شخصيات تتسم بطابع البساطة وبالتالى فهى ليست فى مستوى هذا التفكير الفلسفى المجرد الذى يتجاوز حدودها الفكرية المعقولة « فصالح » مثلا إنسان بسيط متوفز الحركات و« عيسى » إنسان متهور متردد وليس هناك ضابط فى نفسه بين الحب والكراهية يعانى أزمات نفسية لصراعه ضد رغباته المتناقضة مما يؤكد الافتعالية وتدخل المؤلف من خلال هذه الشخصيات وبذلك غشاها ضباب

الذهنية ومنعها من الأعداد لخوض مرحلة نضالية فيها موت وغزو وعبودية وغامت أمام هذا أيضاً حرارة الإقدام ليرد الاعتداء المتسلط على حياة شعب آمن وتلاشت هذه الحرارة فى جو الفلسفة والمعادلات.

فالحب والعطف وعدم إراقة الدماء وتبرير الجاسوسية والخيانة بالضعف هذه هى القيم التى تقوم عليها أهداف ومبادىء المقاومة التى يتزعمها عمر المختار.

ومن ذلك فالجاسوس الذى يخون وطنه وانسانيته عندما يقع فى أيدى عمرالمختار لايحرق أو يقتل جزاء خيانته بل يتودد إليه ويطعم ويعود مكرما ومرافقاً أيضاً بدعوى أنه ضعيف وارتكابه لهذه الخيانة إنما هو عمل اضطرارى محض.

وأنا اعتقد أن هذا زيف واعتباطية فالمشكلة ليست فى نشرالقيم والمبادىء بقدر ماهى محنة تسلط وغدر ووحشية إلا أن المؤلف يدخل بهذه العمدية ليحقق عملية تبنى قيم معينة ولكنها غير متمثلة ومحاولة إخضاعها وصبغها بالصبغة الواقعية لتلك الانتفاضبة كتحديد لموقفها الإنسانى.

وعمر المختار يعترف نفسه بوحشية الاستعماريين وقذارتهم عندما يقول « من أين لهم أن يعرفوا لقد ضربت على عيونهم غشاوة وصنعت نفوسهم الأحقاد »

وكما يقول « فاضل » « ماأبشع الخديعة عندما كانت تطل من عيونهم »

إذن تبرير الخيانة أمر غير محتمل كما أن التسامح والتساهل هنا يفقدان جدواها حتماً مع فئة من الوحوش تتنكر لأبسط مبادىء الأنسانية وقواعد الأخلاق.

والفصل الثانى مهم جداً فى نظرى فقد كان من الممكن جداً أن يحدد فيه المؤلف موقف الشعب بأسره بعد عدم جدوى مفاوضات الهدنة التى جاءت فى الفصل الأول الإ أننا لن نحس بالارتباط الجماهيري للشعب بكل أبعاده ومسافاته لم نحس بروح المجموع نابضة قوية تقف فى صمود إزاء الخطر الداهم لم نحس بصدى المقاومة التى تفرضها الظروف الحرجة لم نحس بتفاعل القيادة مع الشعب فى موقف واحد تبرز من خلاله إرادة الشعب المكافح بل لقد جاءت حوادث هذا الفصل فى شكل تفقدات باهتة للأسلحة والعتاد كذلك أفسد عليه استغراقه لحادثه مصرع محمد وهى ليست ذات موضوع بالنسبة لما يتعرض اليه المبدأ الأساسى من دمار وأنهيار.

والحركة النضالية التى عاصرت أحداث جهاد عمر المختار لم تكن بمعزل عن الصراع العام بل لقد انبثقت من القوى الشعبية نفسها وفى نطاقها العام أعنى فى حدود موطننا كله وإذا لم تنعكس تلك البطولات جميعها لتساند جميعها وإذا لم ترتبط ككل فى خط تصاعدى واحد فلاشك أنها تفقد كل مقولات الدور المجيد لعبته فى تلك الفترة التاريخية من كفاحها المقدس كذلك تفقد أيضاً خصائلها كحركة كان لها أثر كبير فى التاريخ ومن هنا آخذ علمه المؤلف أن يرصد وقائعه بكل مايستلزمها من إحاطة وشمول حتى تظهر حقيقة عمله على الوجهة التاريخية.

أما من الناحية البنائية فى هذه المسرحية ففى اعتقادى أنها لم تعايش تجربتها الثورية بكل حرارتها واندفاعها مما لم يكسب مضمونها خصائصه وفاعليته بل إن التشتيت الذى تخلل وقائعها أحياناً.

أحدث فيها كثيراً من التخلخل وأصابها بنوع من الخفوت وبالرغم من أن شخصية « محمد » تعتبر أطيب نموذج لتمثيل الجانب

الايجابي للثورة والتعبير الجماعي عن الشعور العام.

إلا أن النهاية الدراماتية التي اختارها المؤلف لهذا الدور اغرقته في جو الفاجعة وافسدت عليه حيويته الدافعة وجاءت على شكل احتضار متشنج يشيع رائحة الهزيمة والانتكاس في صميم عملية المد الثوري.

وأنا معجب جداً بشخصية محمد معجب باندفاعه بوداعته بإخلاصه للقضية التي يكافح من أجلها وبقيمه البسيطة التي يؤمن بها وأعتبره النموذج الأصيل الذي يمثل روح الشعب في صموده وروعته لذلك لا أريد له أن يموت هكذا بكل بساطة.

لقد كان من الممكن جداً أن يعيش محمد ويعكس ظله على السلم التطويري للمسرحية فيكسبها أكثر نبضاً وانسيابة.

أما من ناحية العمل الفني فهناك تبرز صدفة مفتعلة في عودة محمد محمولاً على جواده وأنا لاأحب الصدف ولاأحب الافتعال في الفن.

والشخصية الثانية الجديرة بالاهتمام في هذه المسرحية هي شخصية «عيسى» فكما أن محمداً يمثل الجانب الإيجابي في الحركة «فعيسى» يمثل جانبها السلبي أي أن هاتين الشخصيتين تمثلان طرفي النقيض في البعد الوجداني للشعور العام.

وعوامل السلبية في نفسية «عيسى» أغلبها تأتي عن سلوك مزاجي لزج وهي بدون ضابط لفداحة المسؤولية فالتهور والتردد أحياناً والاندفاع أحياناً أخرى كل هذه العوامل هي التي تتحكم في تحديد سلوك عيسى تجاه الأحداث وتبلغ اللامبالاة عنده ذروتها في موقفه من اعتقال القائد واختياره تلقائيا لئلا يقوم بواجبه وافتداء قائده في الوقت الذي كان لايعتمد فيه على سواه ولقد وفق المؤلف في رسم هذه الشخصية في جميع المراحل التي عايشتها وقد أعطى نموها العكسي دلالته الحتمية في اعتقال عمر المختار إلا أنني استثنى من ذلك الانقلاب الفجائي الذي يطالعنا في آخر النهاية مما يتعارض وحقيقة تكوين التغير وبدون أن يمهد له وعلى أي حال فأنا اعتقد أن هذا لايؤثر أبداً في نجاح المؤلف لرسم هذه الشخصية بكل عوامل التهور والسلبية فيها.

وتنبثق من أهمية دور عيسى في هذه المسرحية دلالة أخرى فهي قد تصلح الى حد ما لتكون رمزاً تمثل جوانب السلبية في الشعب «فغراسياني» كان يرمز للاستعمار كان يمثل القوة الحديدية الغاشمة بكل وسائلها الرهيبة وبكل بشاعتها وقذارتها وعيسى في حقده على «غراسياني» ورغبته في قتله كان يمثل التعبير عن مجموعة من الأحقاد وكما أن هذه الرغبة عند عيسى لم تكن لتتعدى منطقه كمتنفس للضيق الذي يشعر به وكرغبة قائمة ليس لها ارتباط محدد بالواقع كذلك كانت هناك مجموعة من الرغبات في القطاع الشعبي تمثل الإحساس كمتنفس من الثقل الاستعماري البغيض ولاشك أن مرد هذا إلى عوامل الضعف في حركة الجهاد وماكان ينقصها من الكثير من مقوماتها الأساسية فبدائية الوسائل لمقاومة العدو الغازي وعدم تكافوء القوى المتصارعة بالإضافة إلى بعض الخوف والتردد كل هذه العوامل احدثت الهزات العنيفة في صميم المقاومة الجزئية التي كانت حركة عمر المختار امتداداً لها ونفساً عميقا يزخر بالبطولة والإقدام.

وشخصية بطل المسرحية لايعتمد في تحديدها على الرؤية الخارجية للأحداث في

مجالها الزمني الحاضر إذ ليس أي تجاوز واضح بالنسبة للمستوى العادي لبقية الشخوص ومعنى هذا أننا إذا مانظرنا إليها من زاوية مجالها الخارجي نفتقد حتماً النسيج الحي الذي يشكل دور هذه الشخصية وفاعليتها وظلالها التي كان من المفروض على خط السير الاتجاهي للمسرحية والمؤلف يعطينا مفتاحاً واحداً لاستكشافها هذا المفتاح هو عملية الرصد الاستبطانية للوجود الداخلي لنفسية البطل وبقية النفسيات الأخرى وبالأخص «فاضل وأبورحيل» ومحمد وهو الإيحاء والاعتماد على الرمزية واستشفاف المعاني والأفكار التي تكمن في الحوار.

ولكن على الرغم من أن هذه الآراء يمكن فعلاً أن تؤدي إلى نتائج باللغة الأهمية وبالرغم من أن عمر المختار كان فعلاً يمثلها بالرغم من هذا كلمه فاعتقد أنه من الأهمية بمكان ضرورة التخطي بهذه المعاني وهذه الأفكار من منطقة العقل أو الوجدان إلى مجالها العملي حيث تتبلور على شكل حادثة أو تجربة واقعية واضحة المعالم فالبطولة لاتفسر ولكنها تمارس وتطبق وتتفاعل ولعل المؤلف أدرك نفسه هذه الحقيقة عندما عمد إلى الاتيان باستعراض سردي ـ عن طريق البطل ـ لذكريات اشتراكه في حركة الجهاد وتشوقه لأن يمارسها من جديد كتأكيد تام جازم ولكني اعتقد أيضاً أن هذا لايفيد الاستمرار بكل خصائصه الموضوعية المتمثلة.

والمؤلف يعكس ظلالاً أكثر شمولاً لمفهوم البطولة عنده ويوردها على «فاضل» ويستعرضها في شكل حوار خطابي عندما يدور الحوار التالي بين عيسى وفاضل.

عيسى: لقد حاكموه لأنه دافع عن وطنه.
فاضل: لا لا لا يحاكم الأبطال.
عيسى: أرادوا أن يسخروا منه فسخر منهم.
فاضل: لا الأبطال أقوى من المحاكم.
عيسى: وصاروا يسألون وهو يجيب.
فاضل: لا الأبطال لاتجيب سوى أعمالهم.
عيسى: حدثني رجل عنه كان أقوى من القضاة والكلاب.
فاضل: الأبطال لايقاضيهم أحد على الأرض.
عيسى: كان كالقيمة التي حبست في الحديد.
فاضل: إن القيم لاتحدها أسوار أو حديد.

وبالرغم من طرافة هذا الحوار الفكرية وسلاسته فمن وجهة نظري أن التسلسل المنطقي وتفتق الذهنية عند فاضل على هذا النحو إنما يتعارض تماماً ومايقتضيه الموقف إذ أن الصدمة التي احدثتها حادثة اعتقال عمر المختار لاشك أنها تسبب نوعاً من المفأجاة والشدة وبذلك يكون هذا الحوار غريباً عن جوعن حقيقة الموقف ويعتبر سيطرة مباشرة من المؤلف على أفكار ونفسية فاضل وتحريكها لتمثيل فكرة البطولة على شكل أفكار لفظية وخطوط عقلية بحتة.

كما أن هذه الحادثة من جهة أخرى لاتعني الأنهيار التام وطغيان الكارثة بطريقة غارقة في السوداوية وهي لاتبرر ابداً ماطرأ على شخصية «أبورحيل» وتناقضها النفسي التام وتغيرها الفجائي في لحظة إلى مايشبه الاستسلام والشلل وتبرز في أغلب الفصل الرابع شخصية «أبورحيل» هذه جزعة متهالكة منهارة مغلوبة على أمرها بشكل مثير حقاً وهذا يعني أن المؤلف يحدد معنى البطولة بطريقة غير صائبة ويكسبها هالة من التقديس والألوهية حتى لتبدو وكأنها مواقف خارقة أو كأنها ليست نشاطاً إنسانياً تشكله الإرادة والعمل والتصميم ويمكن أن يقوم بها أي فرد متى توافرت له الأسباب والمقومات

الضرورية وبذلك أدى هذا الفهم إلى ذوبان شخصية «أبورحيل» وتلاشيها ومسخها وتحولت فجأة إلى دور هزيل تجمدت فيه جميع امكانياته وحيويته وأربكه فى نزوات إلى حد الخبل والانهيار واللاإرادية.

وهذا مايختلف فى تحديد دور البطل فى العمل الروائى على أنه عنصر البناء الموجه وهو لايذيب بقية الشخصيات الأخرى أو يمتصها أو يطمسها بل على العكس يلمس بوضوح قيام المشاركة البنائية بينه وبينها إذ لايمكن أن يتطور هذا الدور بمعزل عن بقية الأدوار الأخرى وتأثيرها عليه وارتباطها به.

فالبطل تخلقه الجماهير والظروف الملائمة وهي التى تمده من زخمها وحيويتها بنشاطه وامكانياته ومجاله. أما النتائج المترتبة عن عمل البطولة فليست إلا نتائج التفاعل بين البطل والمجموع كذلك ليست إلا دلالات وتحقيقاً لما يعتمل فى وجدانات الجماهير وتخطياً بها من مرحلة الحلم إلى واقع التجربة أعنى عملية ارتباط تتم بين عنصر التوجيه من جهة وبين القوى الديناميائية اللازمة التى تمثلها المجموعة من جهة أخرى وبلورتها على شكل نشاط فعال فدور

البطل إذن التوجيه للنشاطات الكامنة لاخلقها أو ايجادها بطريقة فردية وهو بالتالي على أى حال لايمكن أن يكون إلهاً أو خارقاً للعادة كما تمثله أبو رحيل وهذا ما أدى الى تمزق هذه الشخصية على شكل مأزوم لا يمكن تصوره ولا يمكن أن يتوافق أبدا مع الخطوط العريضة التى رسم بها المؤلف نفسيتها وتطورها داخل البناء المسرحي.

وبعـد

فأنا أرجو أن يعطى أدباؤنا الشباب ما تستحقه هذه المسرحية من اهتمام وعناية وأن يسلطوا عليها أضواء النقد والدراسة فهى لاشك خامة طيبة للعمل المسرحى جديرة بأن تنال ما يرجى لها من تقدير.

تحياتى لصاحب المسرحية ورجائى له بحياة حافلة بالابداع ووسائل الخلق ولا تعدو هذه الملاحظات أن تكون إلا مشاركة وجدانية ومساهمة متواضعة لإظهار ما لهذا العمل الأدبى من قيمة فيها فخر لأدبنا الليبي الصاعد.



النص الثالث

أدب وحب

ليس من شك أن النزعة الرومانتكية فى الأدب التى ظهرت بوادرها فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع كثورة فكرية على القوالب الجامدة وكرد فعل عنيف ضد المذهب الكلاسيكى القديم ليس من شك أن هذه النزعة رغم الانقلابات الاجتماعية التى احدثتها على الفكر والأدب وجميع مفاهيم الحياة فهى تقف اليوم عاجزة تمامًا امام الاحداث التطورية التى عاصرت القرن العشرين بعد أن تطورت المشكلات الاجتماعية والانسانية على نحو جاد وزاد إحساس الناس بها ووعيهم لطبيعتها وحقائقها الموضوعية والمادية بدون الانسياق وراء العواطف الجامحة والخيال المفرط وأصبحت التأملات المجردة ضربًا من العتة واللاجدوى.

وفى مجال الأدب والفن نجد كذلك أن هذه النزعة قد احدثت أيضاً انقلابات جذرية بالغة الخطورة والأهمية فى المفاهيم الأدبية والنفسية على السواء وحطمت الجمود وحررت الفكر من قوالب التقليد الى الرحابة والانطلاق والغوص فى أعماق النفس الإنسانية وما يجيش بها من انفعال وشجن وحب ونوازع وغيرها من الانكسامات النفسية والوجدانية وأصبحت النفس البشرية هى مركز الاهتمام ومن أكبر قضايا دعاة هذة المدرسة التى يمثلها خير تمثيل « جوتة » و « شيلى » و « بايرون » « فيكتور هوجو » ولقد اصطبغت آثار الكثيرين من الكتاب والشعراء بالصبغة السلبية من شجن وحزن ونزوع إلى العزلة وارتماء فى أحضان الطبيعة وحدة الحساسية والتأمل الميتافيزيقى.

وظل الأدب الرومانى بصفة عامة تعبيرا عن الصراع الاجتماعى ضد طبقة النبلاء والإقطاع وحتى الكنيسة فى كل من ألمانيا وفرنسا على الخصوص واحتجاجًا صارخا على العبودية الفكرية والاجتماعية وتبعية القطيع التى عاصرتها جماهير الطبقات العامة فى ذلك العصر تساعدها فى ذلك الطبقة البرجوازية التى تكافح من أجل حماية مصالحها النامية نتيجة للتطورات الصناعية الهائلة والتقدم العلمي الذى غمر أوروبا.

ولكن كما قلت وبالرغم من كل ذلك فإن الدور الذى كان يقوم به الاتجاه الرومانسي فى الأدب لايعكس تماما الحقيقة الموضوعية للحياة التى عاصرها ذلك لأن أغلب اهتماماته كانت تتناول المشاكل الفردية الخاصة وما يتنازعها من حب وقلق وخوف من المجهول وما الى ذلك من الحالات الوجدانية والعاطفية التى تعيش بمزاج شاحب وإسهال عاطفى غامض وكان لابد من ايجاد حل وكان لابد من التفكير بعمق ووعى تجاه المشاكل التى يتعرض لها الانسان وتزداد حدتها ضراوة وكثافة بعد أن تطور الانسان وازدادت تناقضات الحياة ونشاطاتها فى جميع المجالات الأدبية والفنية والسياسية والعلمية على السواء ومن هنا اتجه الانسان الجديد الى التفكير الموضوعى والاستقصاء الجاد لتفسير الظواهر والكشف عن المجهول

بطريقة علمية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الانسان وأصبح البحث الموضوعى التزاما يأتى من الداخل من داخل الانسان نفسه وما يثيره العلم من انتصارات فى علم الحياة ومن حقائق ووضوح على أساس من المنطق والمشاهدة والتجربة.

وهكذا ظهرت الواقعية الجديدة كطريقة مغايرة متميزة لادراك الحياة والنظر الى الأشياء على اختلاف مستوياتها بماينعكس من آثار لعالم الطبيعة والحياة وأصبح تبعا لذلك الأدب تعبير عن الحياة الواقعية ومظهرًا مختارًا من مظاهرها بعيدًا عن الجموح والشك والغموض التى يثيرها الأدب الرومانسى والمزاج العاطفى وبدأت النظرة تتسع بعد ذلك لتشتمل قضايا الصراع التى تحدثها التناقضات داخل المجتمع وعلى ضوء هذا الاتجاه أصبحت الكلمة أداة جليلة فى سبيل حياة فاضلة تنتقل من الأقبية الرطبة الى المجال الانسانى الرحب لتمجد انتصارات الإنسان وتعبر عن مشاكله وهمومه واهتماماته ولم يعد بالتالى الفنان الأصيل يتنازع مع ذاتيته فى معارك لاتنتهى أو مع رغباته المتنافضة ولكنه أصبح اضطرابه فى واقع الحياة يعين مع مجموعة من الناس وأصبحت مسؤوليته تجاههم تمثل وظيفة قيادية ضد الحواجز التى تقف لتعرقل نمو التطور فى حياتنا الإنسانية أى أنه الإنسان الذى يصنع الحياة ويصنع الفعالية المبدعة لتأكيد الحفاظ على معانى قيم الإنسان الفكرية والحضارية وإثراء وجدانه بالحب والخير والبساطة والجمال.

الحب للحياة :

هل صحيح أن التحدث عن الحب عيب وكلام فارغ ؟.

هل صحيح أن هذا الإحساس الرائع الذى يربط مابين العلاقات الإنسانية ويوحد مابينها إسفاف وضرب من الهواء الذى لاطائل وراءه ؟

هل وهل وهل علامات استفهام كثيرة وضخمة تتناثر أمامى وأنا أتحدث عن الحب وكأنى أرتكب جريمة وكأنى أحرض على إهدار قيم المجتمع وأدعو إلى النيل منه والتردى به إلى مستوى الأنحدار.

إى تعاسة أن يتحكم قانون قبيح من الممنوعات والمحرمات فى صرامة وتعسفية مفرطة.

وأى معنى لحياة هى الأخرى قبيحة لادلالة لها ولامفهوم.

والواقع أن هذا بدون شك هوالانعكاس الحتمى للوضع الاجتماعى الذى نعيشه ونتيجة لركود علاقاتنا الاجتماعية والثقافية ولاستمرارية التخلف فى وسائلنا الانتاجية فى جميع المجالات سواء من الناحية الاقتصادية أو الفكرية أو الحضارية بحيث احتفظت القيم التقليدية القديمة بجميع فاعليتها التأثيرية على مجتمعنا لتحديد سلوكه أوالتحكم فيه ولاتزال فكرة الحريم التى جاءتنا من عصور الانحطاط والظلام هى الفكرة السائدة التى نتعامل بها حتى الآن.

وظلت المرأة تعيش وجوداً طفيلياً على الرجل عليه حمايتها وإطعامها ومعاملتها بكثير من الدونية والاجحاف واتسعت شقة الخلاف بينها حتى أصبح الكثير من علاقاتنا الزوجية لاإنسانية فى أغلب الأحيان يغلب عليها طابع الملل والفتور والضجر وتنتهى أخيراً بالطلاق أو الفشل.

ولعلنا نحن أبناء الجيل الجديد هذا الجيل التعس فتيان وفتيات هو الذى يتحمل وحده

مسؤولية هذه القضية وهو يقف فى مفترق الطرق ويحاول أن يسترد اعتباره وضياعه ويرفض أن يتعطل إحساسه ويتبلد وجدانه ويقف قلبه عن الخفوق ويرفض أن يكون الحب عيباً وكلاماً فارغاً.

هذا الجيل فى حاجة ضرورية ومستعجلة إلى انقلاب خطير فى جميع مفاهيم حياته والنظر إلى القضايا بأكثر موضوعية واهتمام فى حاجة إلى الاستقلال الذاتى والاعتماد الذاتى والتعبير المستقل وعدم الذوبان والتلاشي فى الاسرة بالإضافة إلى الثقافة الفكرية الواعية التى تحدد رغباتنا وتستكمل مراحل النمو والإدراك فينا لنصل إلى مرحلة التكامل الشخصى والتلذذ بحلاوة الشخصية التى هى سبيلنا الى بوابة الحياة الكريمة.

إن الرسائل الغرامية التى يتبادلها الجنسان كتعبير عن الحب ليست إلا طريقة ساذجة وعبيطة وليست إلاتعبيراً عن حالات مريضة يتعامل بها المراهقون لفشلهم* وإفلاسهم.

إن المطلوب من الجيل الجديد إلغاء هذه الطريقة الصبيانية لينتصب مارداً فى وجه الذين يضعون الشوك فى طريقه لينمى علاقات الحب ويكبر من شأنها ويجعلها مبدأ أساسياً للمعاملات فالحياة أن نعيشها بعمق وأصالة وأن نفجر طاقات الإبداع فينا ونحررها من سلاسل الكبوت ومعاقل الرتابة ونتلمس وجودنا الإنسانى ذلك لأن المستقبل لشباب جيلنا الجديد.

أدب وحب

دفاعاً عن الزوجة الليبية :

« اعترفات إنسان » قصة للزميل محمد فريد سيالة كتبها ليعبر عن رأيه فى مشكلة هامة من قضايانا الاجتماعية وهى عدم التوافق الفكرى وعدم التكافؤ بين الزوجين وخصوصاً بالنسبة للأزواج المتعلمين ولهذه القصة مفتاح هو« إن الإنسان لايشعر بوجوده الاّ إذا أحس بحريته » ويضع هذه الفكرة فى« برواز » عريض حتى تكون« يافطة » كبيرة تشير إلى الهدف الذى يرمى إليه .

وملخص هذه القصة عن حياة دكتور بعد عشرين سنة من تخرجه من كلية الطب وهى كما يصفها حياة عزوبة مليئة بالشعور بالكراهية والنفور لهذه المهنة التى لم تستطع النساء ولاالخمر ولاالسهرات الحمراء الصاخبة أن تنتزع منه الإحساس بالقرف والاشمئزاز تجاهها .

ويلتقى هذا الدكتور بأحد مرضاه واسمه« سليم » يروى له هذا الأخير مذكراته وهى على شكل قصة باسم« اعترافات إنسان » .

وسليم هذا شاب ليبي وكاتب اجتماعى له آراء وكتابات عن التقاليد الفاسدة التى يعيشها مجتمعه وقد تزوج من فتاة ليبية اسمها« مريم » لم يستطع أن يوفق معها فى الحياة التى كان ينشدها ويدعو إليها وخصوصاً وأن مريم كانت قليلة الحظ من التعليم وأنها لم ترتفع عن مستوى أفكار بنات جيلها .

وبالرغم من أن سليماً ينجب منها ولدًا فهما مازالا مختلفين فى الآراء وطريقة التفكير ولايلتقيان إلاّ من خلال علاقتها الزوجية الجنسية فقط .

وأحس عندها سليم بأن حياته بسبب هذه الزيجة الفاشلة رتيبة وخالية من أى طعم .

وكانت أن دخلت فى حياتها فتاة أجنبية اسمها فوزية سلمها أبوها لسليم كأمانة عنده نظراً لمعرفته به ونظراً لعدم استقرار هذا الأب الذى يعمل باحدى شركات« البترول » فى طرابلس فهو دائم التنقل من مكان إلى آخر وهو إلى جانب هذا أب ماجن يبحث عن اللذة ويريد أن يتخلص من ابنته ليفسح المجال أمام مغامراته المتكررة مع نساء الليل .

واحتلت هذه الفتاة إحدى غرف البيت ثم تطور وجودها من مجرد علاقة أخوية تفرضها صلة الأب بسليم إلى علاقة غرامية عنيفة رغم وجود الزوجة المنكوبة ورغم أنها انجبت طفلها الثانى .

وانقلبت علاقتهما هذه إلى لقاءات ليلية سمجة من التهور والخيانة الزوجية باسم اللذة والحب والحرية على حساب إنسانة أخرى ثم تنتهى بانفصال الحبيبين وزواج فوزية من شخص آخر وهذا هو ملخص القصة .

والفكرة التى تهدف إليها هذه القصة تدفعنى إلى مناقشة المؤلف فى مفهوم الحرية عنده ومفهوم العلاقات العاطفية والتكافؤ

الفكرى ووظيفة الحياة الزوجية وكيفية تحقيقها.

ومما لاشك فيه أن المرأة الليبية تعيش فعلاً فى وضع اجتماعى متخلف وشخصية مريم فى القصة تمثل نموذجاً عاماً لهذه المرأة ولكن حقيقة هذه الأزمة ترجع للظروف السيئة التى مرت بها بلادنا وأدت نتائجها إلى مثل هذا الوضع المتخلف وليست المرأة الليبية إلّاجزءا من هذه المأساة وهى ليست بالتالى الإنسانة الغبية التافهة كما يصفهاالمؤلف ويعمد كثيراً إلى إهدار كرامتها وإنسانيتها ولايؤمن بأن فى الإمكان أبدع مما كان.

إنه مثلاً عندما يتعرض لحياة هذين الزوجين ويصف مقدار اختلاف وجهة نظرهما للحياة يتورط فى خطإ جسيم فى مفهوم الحياة الزوجية ووظيفتها.

إن سليماً يضع أمام مريم خزانة كبيرة مملوءة بالكتب ويوعدها بمنحها« جنيهًا » كاملاً عن كل كتاب تقرأه ثم يصاب بخيبة أمل كبيرة إنها لم تستطع سوى قراءة إحدى عشرة صفحة من كتاب واحد ثم يحاول أن يناقشها بعد ذلك فى السياسة ويقول لها إن العالم على فوهة بركان وإن الحرب على وشك أن تنفجر وأن فرنساتحارب المجاهدين فى الجزائر لترجع شرفها الذى داسته جنود هتلر وأشياء أخرى غيرها.

ويصاب طبعًا بخيبة أمل مرة أخرى إذ أن مريم لاتعى شيئاً من هذا وتكون النتيجة أنه يثور ويصفها بأنها بلهاء وغبية وتستحيل الحياة معها على هذا النحو.

وأنا أجزم بأن الأبله سليم وليست مريم واعتقد أنه لاينفع مطلقًا لأن يكون كاتباً اجتماعياً مادام يجهل أبسط مبادىء التربية وأن إرشاد المرأة وطريقة تنمية مداركها وتوسيع معلوماتها لايمكن أن تكون على هذا الشكل لايمكن أن نعاملها على أنها طفلة صغيرة يسهل« تطميعها » ومريم ليست فى حاجة إلى جنيهات أكثر من حاجتها إلى إنسان واعٍ يدرك عمق واجبه ومسؤوليته تجاهها ويوجهها توجيهاً صحيحاً ومباشراً لا أن يتركها تتخبط بين كومة من الكتب التى لاتعلم عنها شيئاً وليست فى مستوى أن تستوعبها.

إنها وظيفته هو كزوج وكمصلح اجتماعى أولا أن يفهم العلاقة الاصيلة للمرأة داخل المجتمع ثم الأخذ بيد هذه الزوجة بطريقة سليمة وواقعية من الإقناع والتجربة والتمرين لا أن يقول لها إقرأى كتاباً تأخذى جنيهاً.

والخطأ الثانى الذى يقع فيه المؤلف أن البطل يريد أن تتخلص زوجته من ثرثرة النساء الفارغة واقناعها بالاهتمام بقضايا العالم وأحداثه السياسية كدليل على مدى تفتح مداركها ولتشارك معه فى الاهتمام بالمشاكل العامة والتى تشغل بال الإنسان وتهدد حياته ومستقبله وهذا الكلام معقول جداً لوكان صادرًا عن إلمام بحقيقة واقع المجتمع الليبى وعن ربط لقضية التخلف الاجتماعى والفكرى للمرأة بقضية التخلف العام وعن فهم صحيح لطبيعة وظيفة المرأة الاجتماعية داخل المرحلة التطورية التى نعيشها بحيث يصبح من المسلم به أن تجمع المرأة بين وظيفتها كعامل فعال فى بناء المجتمع الاقتصادى والثقافى وإن نربط استجابتها لقضايا الإنسان المكافح قضيتها بالقضية الوطنية حتى تكون فى سائر

أرجاء الأرض واعية ومدركة وايجابية ومن هنا فقط يمكن أن يشكل اطلاعها على الأحداث السياسية ومشاكل العالم سلاحًا

جبارًا فى يدها للقضاء على الركود والتخلف اللذين تعانيهما .

وهكذا استطاع المؤلف بهذا التزييف الواضح لحقيقة الأزمة للزوجة الليبية أن يمهد لمشكلة أخرى لاتقل خطورة وأهمية وهى مشكلة سد النقص والاستيراد من الخارج وتأييد الزواج من أجنبيات ليبرر الحكم المتعسف الذى يقول أن المرأة الليبية غير صالحة للحياة والزواج .

وإذن لابد من إسعاف عاجل لهذه الحالة الرتيبة التى لاتطاق لابد من حل وهذا الحل طبعًا ليس بعلاج قضايانا ومحاولة مناقشتها على مستوى جدى هام إنما يأتى هذا العلاج من الخارج وعلى يد سيل المرتزقات الجميلات تمامًا كما حدث لسليم الذى يقول إنه أحس بوجوده لأنه وجد حريته وحريته هذه تحققها فتاة من لبنان اسمها « فوزية » تدخل على الأسرة الهادئة فتحيلها إلى دنيا كريهة وإلى حياة قبيحة تنعدم فيها كل المقومات الأخلاقية والإنسانية وبعد ذلك يقول المؤلف إنها إنسانة مثقفة وفاضلة بل إنها أكثر بنات بلادها فضيلة على الإطلاق .

ويستطيع القارىء للقصة أن يحكم على هذا الزعم من أحداث القصة نفسها ومن المواقف الجنسية المثيرة والمتعددة فيها .

ويستطيع أيضاً أن يحدد مستواها الثقافى مثلاً من خلال رسالتها الأخيرة إلى سليم وهى رسالة إرشادية ساذجة أبعد ما تكون ثقافة وبعد نظر وهى لاتختلف عن رسائل الغرام التى تلطشها الفتيات المراهقات من كتاب « كيف تكتبين إلى حبيبك » .

كما أنها لاتختلف أيضًا ـ عن مستوى مريم خصوصًا وأن المؤلف لايعطينا أى دليل آخر للحكم على ثقافتها غير هذه الرسالة التى لاتمثل المرأة الواعية التى تنشدها البطلة ـ بأى حال ولايمكن أن تكون بالتالى المرأة المتفتحة التى تناقش أحداث العالم وتقرأ الكتب الجادة وتعطى مدلولا آخر للحياة .

أما من الناحية الأخلاقية فيكفى أن أقول ! إن كلمة الأخلاق والفضيلة دلالة لامعنى لها عند هذه الفتاة وهذه بداهة تفسرها علاقتها بسليم وأنا لا أريد أن أناقش افتعال دخول هذه الفتاة التى يقول إنها عذراء الى بيت الزوجية وإحتلال إحدى غرفه فبالرغم من أننى لاأقتنع بهذا الافتعال إلآ أننى أسلم به افتراضاً غير أن الأمر الذى لا يمكن قبوله مطلقا أن تكون الحرية تبريرًا للخيانة الزوجية وعذرًا لاستغلال زوجة مسكينة بولغ فى تشويه حقيقتها ووصفها المؤلف بأحط أنواع الغباء والبلادة .

ومفهوم الحب والحرية فى هذه العلاقة شىء كريه حقًا وسليم عندما يقرر أنه أحس بوجوده لأنه وجد حريته مع فوزية إنما هو بكل بساطة غير قادر على تفهم المعنى الحقيقى للحرية وأنه بعد ذلك إنسان مغرور وأنانى ووقح وفوزية هى أيضًا فتاة رديئة ووقحة عندما تسمح لنفسها أن تكون نمطًا سخيفا من الإسهال الجنسى والتردى الى درجة الانحلال وفقدان الكرامة إذ كيف تسمح لنفسها أن تظل سارقة لذة لمدة أربع سنوات وتندفع بكل انحلالها الى شىء حقير لا معنى له وإلى سارقة لحظات ماجنة ومتهورة لا معنى لها هى الأخرى والأغرب من هذا أن المؤلف يسمي هذه الحالة منتهى الحب ومنتهى الحرية .

وأنا أسأل هنا سؤالاً لابد منه هو ماذا فعلت فوزية فى هذه العلاقة ؟

لعلها قرأت مجموعة من الكتب التى تحتلها خزانة سليم وناقشته فيما تحويه من أفكار .

هل ناقشته فى قضايا العالم وأدركت ما معنى أن العالم على فوهة بركان ؟ والجواب فى كلمة واحدة هو لا .

وهذا طبيعى لأنها هى أيضا لا تعى هذه الأشياء هذه القضية التى كانت تشغل باله قبل أن تدخل بيته هذه الفتاة واكتفى بالقبلات ولقاءات الليل وخيانة زوجته .

ورأيي فى هذه القصة أنها لاتصلح لمعالجة قضايانا ولا تتفق مع أوضاعها الاجتماعية وهى لاتهدف إلالتعقيد هذه الأوضاع وتمييعها بآراء غريبة لاتنفع للتعامل فى مجتمعنا الصغير الذى نحرص جميعًا بإصرار وإخلاص على صيانته ذلك لأن الحرية التى ينادى بها المؤلف من نوع غريب نوع لايحمل أى مضمون إنسانى .

والحب الذى ينادى به المؤلف فى هذه القصة هو الحب الرخيص مادام حالة من الهذيان الجنسي وتوترات شاحبة وبلا مدلول .

وأود أن أشير إلى أن السبب الذى دفعنى الى التعرض لهذه القصة هو أنها تتفق وكثرة الترويج للبضاعة الأجنبية المغشوشة التى تأتينا مع أحمر الشفاه وزجاجات الويسكى .

إنها موضة الزواج من الأجنبيات التى بدأت تغزو بلادنا هذه الأيام .

كلمة أخيرة أقولها صادقًا ومخلصًا هى أننى مازلت أحترم الزميل سيالة وأحبه أيضًا ومازلت أحب له أن يكون أحد روّاد الفكر فى بلادنا لو أنه تخلص من تأثير بعض الكتب الذى بدأ ينعكس على كتاباته ولو أنه اقتنع معي بأن الحب ليس الاغراق فى تمثيل مواقف جنسية محمومة بل إنه الإحساس بروعة الحياة وعظمة الإنسان وهو وحده الذى يعطينا القدرة على خلق علاقة إنسانية بسيطة وإسرة هادئة مع امرأة شريفة وطيبة تعيش وتعمل تحت سماء أرضنا الطيبة .

الحب للحياة :

فى تراثنا القديم نماذج كثيرة من الأغانى الشعبية التى تعبر عن شتى الانفعالات العاطفية فى وجدان آبائنا من الجيل السابق لا تزال تتدفق بأعمق المشاعر والاختلاجات التى عاشها هذا الجيل وتحمل إلينا أدق أسرارهم وشقاوتهم وحكايات الحب التى مروا بها وتجاربهم العنيفة التى عاشوها بكل ما فيها من هزيمة وانتصار وفرح ومرارة .

ومازلنا نطرب لهذه الأغنيات الجميلة التى تمثل انعكاسًا لأشواقهم وأحلامهم وتعطشهم للحبيب وعذاباتهم فى ذكراه .

ومازلنا ايضًا نخفى ضحكاتنا المتخابثة عنهم عندما يضرخون فى وجوهنا ويصفوننا بالطيش ويندون بأن الحب عيب وكلام فارغ لايليق بالأبناء المهذبين وربما ضربونا إذا لزم الامر .

فكيف هذا الموقف غير العادل ؟

كيف يأخذون على أبنائهم « أخطاء » وقعوا هم فيها ؟

لابد للحكاية من أمر .

والواقع أن العواطف الإنسانية التى تجيش فى وجدان الإنسان بمختلف انفعالاتها لايمكن أن تكف عن النبض ما دامت آخر نقطة دم حارة تجرى فى عروقه جياشة ونزقة ومندفعة .

وكل الذى تغير هو نظرة الأب للحياة والشعيرات البيضاء الوقورة التى تجلل رأسه واتساع وظيفته وحرصه على الاستفادة من الوقت الذى يمكن أن يعطى أكثر إنتاجًا وهو

عندما يلتزم هذا الموقف إنما يعكس حقيقة تجاربه التى اكتسبها خلال ظروف مجتمعه القديم وقسوة الحياة التى استنفذت كل نشاطه والسنوات الشاقة التى قطعها من أجل العيش الذى لايترك وقتًا متسعًا لرغبات القلب ونوازعه.

وبالرغم من أنه ربما كان فى شبابه يحوم حول فتحة باب منعرج أو نافذة مشبكة ويتلصص النظر إلى ابتسامة رقيقة وعيون دافئة ويغازلها وهو يفتل شاربه الكث ويحمل على كتفه المفتاح الكبير المتدلى بعد أن قفل « مغازته » وبالرغم من الأحاسيس اللذيذة التى عانقت وجدانه فى تلك الفترة وعاشها منفعلاً بها وألف فيها الأغانى وربما سكر مرة أو مرتين بالرغم من هذا كله فهو يقف اليوم نصف متأسف على الوقت الذى أضاعه فى مثل هذه الأمور التى يعتقد أنها كانت من الممكن أن تكون أكبر فائدة وأقل للكثير من « الأخطاء » بينما يقف الجيل الجديد بكل حرارة الشباب وطفولته وفرحه ليكمل حلقة من حلقات سلسة الحياة الطويلة بكل الدماء الساخنة التى فى أعماقه وليؤلف أغنيته الجميلة ربما أعذب من أغنية الجيل السابق وأكثر تألقًا وأصالة.

والجيل الجديد لايريد أن يعترف بقضية الوقت إن وقته هو أيضًا ثمين وشبابه خزينة لاتعرف النفاد ونافورة متدفقة من الصحة والتوهج ولذلك سوف لن يأسف على هذا الوقت مادامت أعماقه صهريجًا من التوقد والنضارة.

وعلى الآباء أن يعترفوا بهذا وأن يتركوا لطبيعة الحياة مجراها وألا يتصدوا للتيار فالشباب أقوى وأعند وأكثر تحديًا من أن يلين للحواجز التى تعرقل نموه وانسيابيته وحرارة الحياة فيه.



النص الخامس .

ضرورة الفن لحياتنا .

الحفلتان اللتان أحيتهما فرقة الإذاعة الليبية وتحت إشراف وزارة الإذاعةالتونسية بالاشتراك مع فرقة الإرشاد « بسينما » « جاردينو » لم تكونا ناجحتين كما أريد لهما بل لقد كانتا فى مجموعهما وبصفة عامة عاديتين عاديتين جداً تماماً كسائر الحفلات الساهرة التى حضرناها فى السابق وربما أقل فى المستوى بقليل هذه المرة خصوصاً وكلمات التقديم المائعة التى يستعملها « الهادى راشد » ويحاول حشرها بمناسبة وبغير مناسبة .

غير أن الشيء الهام الذى يلفت الانتباه هو جمهورنا هذه الأيدى التى تصفق بحرارة عند الانتهاء من كل أغنية وهذه الحناجر التى تهتف بشوق وتتفاعل بملء كيانها بعبارات الاعجاب والانفعال والتوتر .

حتى الأغانى التى قد لاتصل مستوى الأغنية العادية أغنية نرجس مثلاً التى تقول فيها :

ياريت ماحبيتك
ياريتنى ماشفتك
ولاعرفتنى ولاعرفتك

مثل هذه الأغنية متكلفة جداً فى اللحن والكلمات والمضمون وحتى فى الأداء نفسه الذى يتحشرج فى كثير من الأحيان ويتقطع عند النفس الأخير من غير أن يأخذ الراحة اللازمة للانتهاء التدريجى وهناك أغنيات أخرى لاترتفع عن هذا المستوى ولكن الجمهور يصفق لها بحرارة ويملأ جو الصالة صفيراً وصخباً ويهتف بالمزيد .

والحقيقة أنه فى هذه الحالة لاينفعل من حيث التمييز بين عنصر الجودة وغيره ولكن لأن الجو الساهر المرح واللحظات العميقة المفرحة التى يمارسها وجدانه ويتفتح لها بعد أن حرم منها طويلاً وهو يعيش مع نسمات الليل وشفافية الليل ويعانق الوجوه المشرقة التى تلون هذا الليل بالعطر والنشوة والابتسام .

إن هذه اللحظات النادرة فى حياة جمهورنا هى الدلالة الحقيقية لجدب حياتنا من الفن وجدب عواطف الإنسان الليبى الذى يرهقه الفراغ ويعذبه الملل والقحط من كل الأشياء السارة من كل اللحظات السعيدة التى تنعش إحساساته وانفعالاته ولذلك فهو يندفع نزقاً يميد مع كل موّال ويستجيب لكل آهة ويفتح قلبه ليشرب الجو الذى حرم منه طويلا ويحن إلى نغم أى نغم ويتوق إلى الانطلاق والإفضاء بما يجيش فى نفسه وليمسح عنها كتل الأدران والعقد ورواسب الضجر وقائمة الممنوعات الكريهة التى تتشبث بتلابيبه فى حنبلية مفرطة .

صحيح أن هناك بعض المواهب المفتحة قد تألقت فى كثير من الإبداع مثل سلام قدرى من مطربينا الشباب وعُلَيَّة العندليب الجميل ورضاء القلعى الفنان المبدع صحيح أن هذا

الثلاثي الانيق كان جديراً بالإعجاب والتقدير ولكن هذا لايكفي لإنجاح المستوى الفني لهاتين الحفلتين وبالتالى للحكم على أصالة الذوق الرفيع عند جمهورنا المتعطش.

شيء واحد أكثر من غيره كان فعلاً أكثر جدارة بالإعجاب والحب ولم يكن لعنصر الاشتهاء والإثارة دخل فيه وهو مقطوعة رضاء القلعي « جرجيس ».

إن رضاء يعبر فى هذه القطعة بأصالة عذبة عن معانقة الفن لروح الشعب وتفاعله بما يثير فى عواطف الإنسان البسيط من إحساسات حلوة وتعاطف رقيق للأرض والحب والزيتون وما يمثله موسم الخصب فى حياته من سعادة واطمئنان.

إن روح الشعب تظهر فى هذه المقطوعة بجميع خصائصها من إقبال على الحياة المقبلة وفرح بها وبما فيها من خصوبة وغماء.

واختيار رضاء « للكورس » الذى يعبر بالكلمات عن مضمون هذه المقطوعة هو الذى جاء على مثل هذا الترديد الجماعى كان موفقاً جداً لإبراز القيمة الفنية ولإثراء العمل الحى الذى تؤديه هذه المجموعة فى مجال العطاء الذى تبذله الأرض وإحساس الإنسان بأمومتها الجديدة بالإضافة إلى التوزيع الموسيقى.

« والهرمونى » الجميل الذى يبدعه « رضاء » نفسه أثناء مصاحبته للفرقة وتألقه فى توزيع الأبعاد الصوتية والجمل التى يتألف منها اللحن وإعطائه دلالته وعمقه.

ولذلك كان الجمهور فناناً لتذوقه هذه القطعة واعجابه بها ربما لأن فيها تعبيراً عن حياته وربما لأنه وجد فيها انعكاساً لما فى أعماقه من حب وأمل وتفاؤل وفى هذه المرة تجاوب الجمهور مع لحظات مشرقة فعلاً بلا إثارة بلا عطور وبلا تشنجات ممطوطة وكاذبة.

لعل وزارة الإرشاد بعملها هذا إنما تدرك قيمة الفن فى حياة الشعوب ومقدار امكانيته لأن يعكس مايثيره فيها من أشواق وتفاؤل للحياة الجميلة واللحظات المشرقة التى نحتاجها والتى يحتاجها الإنسان الليبى على الخصوص وبصورة عاجلة وضرورية وملحة.

كما أنه فى حاجة إلى إطلاعه على كثير من أنواع الفن الفلكلورية الأخرى واستقدام الفرق الموسيقية لإخصابه بنشوة التلذذ فى الحياة التى تعبر عنها هذه الفنون وتلقيح إحساسه بوسائل الفرح والابتهاج حتى يحس بروعة الحياة ويمارس معايشتها من جديد.

□□

النص السادس

الالتزام والحرية [1]

جميل جداً أن تطرح الصفحة الأدبية من هذه الجريدة الغراء (...) قضية من أهم قضايا الأدب العربي المعاصر وهى قضية الالتزام والحرية فى الأدب (.......) من شباب الأدب فى بلادنا (.......) القضية الهامة (.....) أذهان مثقفى الشرق العربى (....) الأدبية واستمرت مدة طويلة تأخذ صفة الأولوية فى اهتماماتهم الفكرية التى ينشغلون بها وفى هذه الأسطر القليلة سأحاول أن أتعرض* لهذه القضية نظراً لمالها من أهمية كبيرة تدخل ضمن خصائص الأدب الذى نريده وندعو إليه.

فإذا كان الأدب نتاجاً اجتماعياً وتعبيراً عن دلالات اجتماعية معينة وأن الأديب هو إنسان يعيش فى واقع اجتماعى غير منفصل عنه فإن هذا الأدب الذى ينتجه هو بالضرورة انعكاس لموقفه من هذا الواقع وارتباطه به وهو يتخذ بالضرورة سلوكاً معيناً يحدد وجهة نظره وطبيعة علاقاته بالمجتمع الذى يعيش فيه.

وعلى هذا الأساس فإن قضية الالتزام فى الأدب تصدر عن قضية الأديب نفسه عن موقفه من الحياة وعلاقاته الاجتماعية التى يمثلها أى أنه أديب ملتزم بالضرورة لموقف معين سواء أدرك ذلك أولم يدركه.

غير أن السلوك الذى يهمنا من قضية الالتزام هذه هو ما هى نوعية الاتجاه الالتزامى الذى يمثلها والتى يصدر عنها أدبه وما هو الدور الحقيقى الذى يلعبه ؟ وماحقيقة هذا الدور بالنسبة للفترة التاريخية التى يجتازها مجتمعنا فى مرحلته التطورية الجديدة ؟

وإذا أدركنا أهمية الأدب وقيمته الديناميكية فى حياة الإنسان وقدرتها على الفاعلية فى تطوير المجتمعات الإنسانية والارتقاء بها وتحريلها إلى شكل جديد وفاضل يدرك بالضرورة أهمية الرسالة الإنسانية التى على الأديب أن يؤديها لخدمة المجتمع الإنسانى الذى يعيش فيه (......) أيضاً خطورة وحقيقة مايلتزم هذا الأديب وكيف نفرق على هذا الأساس بين أديب ملتزم التعبير بواسطة رسالة (....) من القضايا الموضوعية الكبيرة التى تهم مواطنيه ومجتمعه ويتخذ منها موقفاً إنسانياً رائعاً وبين أديب آخر نكوصى ينحرف بقضية الإنسان إلى مستويات عائمة من الضباب والتشنج ومحاولة اتخاذ شعارات عقيمة ومتفسخة مثل نظرية الفن للفن أو الأدب العاجى وغيره من العينات الأدبية التى تجبن عن مواكبة الحياة الصاعدة وتتنكر لحقيقة النظرية العلمية التى تفسر طبيعة الكون والحياة لتلوك كلمات متهرئة (.....) إنها تحافظ على صيانة القيم الجمالية فى الأدب والفن بأنماط هروبية بالغة فى القبح والوهم والادعاء.

ومثل هؤلاء لايعتبرون مشاغل الأنسان اليومية واهتماماته وكفاحه ضد القوى التي تعوق تطوره والاستعمار الذى يسرق قواد ويستنزفها الا مشاكل وقتية وليست ذات موضوع وكأن الألم الذى يعيشه هذا الإنسان وكأن حبه ورغباته البسيطة وحقه فى أن يعيش حياة جميلة ومبهجة ليس في شيء من القيم الأخلاقية التي يدعون انهم يحفلون بتوكيدها والحفاظ عليها.

ومن هنا تنبع حقيقة الأزمة لم يلتزم الأديب وماهى الثقافة النظيفة التى عليه أن يتسلح بها من أجل أن يصير التزامه تقدميا يخدم قضية الإنسان ويعمل على توكيد أهمية القيم الجمالية والفنية التى تنبع من ارتباطها بالقضايا الاجتماعية واتصالها بحياة الجماهير التى تشكل غالبية المجتمع وإثراء حياتهم بالبهجة و (......) والرخاء.

(............) الأديب أهمية النظرة لتفسير ظواهر الحياة والطبيعة (......) وقوانينها وأسبابها ومعرفة ضرورة التناقض التى تظهر الواقع وحقيقة دور العلم والمعرفة فى فهم هذه الظروف ومحاولة تغييرها (....) والدلالات الموضوعية التى تبرز من خلالها.

وإذا كان الأديب الذى يلتزم التعبير عن أدب المآسى والسوداوية (....) و (.....) مايزال يعيش بوجدان مثقل بالضجر والضياع فى معاركه الفردية و (..........) إنما يمثل أزمة الثقافة المتذبذبة (........) وتعكس أيضا مالها من نكوصية واثارا خطيرة تعود على المتلقى لمثل هذه الأنماط الأدبية المنحرفة.

ووظيفة الالتزام إذن تنبع من مسؤولية الأديب تجاه مواطنيه وتجاه العالم والحياة ومن مقدار فهمه العميق لهذه الوظيفة وفاعليتها.

وتأتى بعد ذلك قضية الحرية فى الأدب وحرية الأديب فى التعبير عن مواضيعه وهذه الحرية هى أيضا إلتزام فى موقف الأديب ومفهومه للحرية الذى يبرز كمظهر من مظاهر هذا الالتزام ومدى اهتمامه بانتقاء مواضيعه وأهميتها فى حياة المجتمع.

وإذا استطعنا أن نفرق مابين مدلول كل من الالتزام الارادى والالتزام القهرى لأدركنا قيمة الحرية وضرورتها لحياة الأديب وعمله الفنى.

وفى رأيى أن الأديب الذى يغنى كالسكران لنفسه لايعنى بمفهوم الحرية إلّا ملهاة لاطائل وراءها ومعنى هذا أن أدبه تجسيد للقوى المتفاعلة فى المجتمع وهو بهذا إنما يمثل اتجاها سلبيا ضارا ويجب ألا يترك وشأنه بل تجب محاربته وإظهار مافى أعماله من زيف وتخريب وانحطاط ذلك أن الحرية فى الأدب لاتعنى شطحات ضيقة من الصراع الفردى المريض وإنما هى ممارسة حية وواعية لحقيقةالدور الذى يؤديه فى اختيار المواضيع التى تتمثل فى اختيار قطاعات الحياة ومختلف المجالات التى يكمن فيها التناقض.

(....................) لاظهار العمل الفنى على نحو غاية فى الأهمية وغاية فى الشمول ولتوظيف الأمكانيات الهائلة التى تزخر بها المواهب النظيفة فى مختلف فروع الأدب والفن.

إن حرية الأديب الواعى الذى يفهم بعمق أهمية وظيفته تضفى على عمله الفنى كثيرا من عناصر الصحة والتوهج والابداع وتعطيه القدره على العمل فى هواء منعش لتنفس رئتيه وتجدد تهوئتها وهى ليست تلك الوسيلة الترفية التى يتخذها سكران يغنى فى اخر

الليل من أجل أن يطرب نفسه ونحن عندما نتركه لنفسه ليقول « على من يسمع أن يسمع ومن لايروقه فليمضي إلى حيث يسمع مايروقه » .

نحن عندما نتركه هكذا ونكتفي بأن نسقطه من حسابنا إنما نعمل بكل بساطة على إهدار القيم الأخلاقية لهذه الحرية ونعطى للمجانين حق التصرف بها لو لم نتخذ موقفاً رادعاً من مثل هذا الأديب وفضح ما فى أعماله من تفسخ وانحلال .

وبعد (....) فإن المفهوم الجاد للحرية هو كما قلت مظهر ممتاز من مظاهر الموقف الالتزامى الذى يتخذه الأديب فى مواكبته الجادة للحياة ويظهر واضحاً فى ماذا يلتزم وأى نوع من الثقافة التى عليه أن يتسلح بها لكى تعطى التزامه حقيقته الايجابية الواعية .

« 1 » وجدت فى هذا المقال كلمات كثيرة غائمة وبعضها مطموس الأمر الذى ادى الى تعذر قراءتها ومن ثم وضعت عوضاً عنها نقاطاً بين قوسين اشارة الى الكلمات الضائعة وهى فى مجملها لاتفسد فكرة المقال .

النص السابع .

خطاب عادى إلى المتنبى : الخواجة محمد إسماعيل .

سيدى المحترم :

أنا أكتب إليك والعالم الذى نعيش فيه اليوم كما تعلم ـ وربما هذا سبب فزعك ـ يمر بأخطر مرحلة يمكن أن يعرفها تاريخ الإنسان فالضربات القوية التي تصفع وجه الاستعمار فى الجزائر والكونغو وأنجولا ولاوس وحملات الاستنكار التى يتعرض لها التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا ثم مشكلة برلين وقضية نزع السلاح وبقية القضايا التحريرية التى يخوضها الإنسان والتى تشغل باله من أجل أن يسود التفاهم عالمنا الجديد ومن أجل أن تعيد الرزانة والتعقل مبدأ للمعاملات بدل التهديد بالقضاء على الجنس البشرى والتخاطب بلغة القنابل الهيدروجينية .

أنا أكتب اليك ياسيدى وأنا أعلم بمقدار مرارة الإحساس بأن يصير الإنسان تافهاً ومخيفاً ولامجدياً وإن يتحول إلى كتلة لزجة من المشاعر المتذبذبة والهوس الهستيرى وأعلم أيضاً أن المرحلة التاريخية التى تسود عالمنا اليوم لاتحتاج إلى شيء قدر حاجتها إلى الحفاظ على القيم الأخلاقية والحضارية وإلى الشجاعة والايمان بأمكانية الإنسان فى أن يواجه مصيره ويطوره ويتخطى عقباته تحت راية العلم وإستكشاف الظواهر الطبيعية وحل رموزها وتسخيرها لخدمة الإنسان .

هذه المرحلة ياسيدى الخواجة تحتاج إلى عالم جليل أعطى ضوء عينيه لخدمة العلم وأخص عمره بين صفحات الكتب وفى المعمل والمختبر واستعمل البرجل والمسطرة وانفجرت فى وجهه إكثر من سدادة وجرحت جبهته أكثر من مرة ثم قال لنا بعد هذه الرحلة المضنية بكل بساطة وتواضع سيكون فى مقدور المتزوجين منا مثلاً قضاء شهر العسل تحت ظلال الصفصاف فى ربوع القمر الممتعة هكذا قال لنا ذلك العالم الجليل ولعل شركات الاحتكار الأمريكية بدأت فى إعداد تذاكر السفر بألوان « التكنيكلور » البراقة .

ولعلها بدأت أيضاً فى تطبيق مقصورات الدرجة الأولى وركبت لها مكيفات الهواء ووسائل التدفئة اللازمة .

هذه المرحلة ياسيدى الخواجة ربما قد تحتاج إلى جهود مستر « روكفلر » ذلك الرجل الاستعمارى العجيب الذى تتحدث عنه الأساطير فى تكساس ولكنها بكل تأكيد ليست فى حاجة الى دجالين ومشعوذين ولا حتى إلى أنبياء ذلك لأن نزول الأنبياء قد انتهى كما نعلم وكما تؤكد الكتب المقدسة ومن هنا استطيع أن أؤكد أننا لانهتم كثيراً لنبوءتك الأخيرة التى حملتها إلينا الصحف والتى تنبىء بانتهاء العالم فى فبراير المقبل .

لماذا فى فبراير بالذات ياخواجة بيجو ؟

لماذا فى هذا الشهر بالتحديد وهو الشهر الذى يتطلع إليه شعبنا الصغير فى ثقة واعزاز بأن يظهر وجهه الجديد للعالم مشرقاً ومضيئاً بعد مرور عشرات السنين من الظلام

والكآبة والاختناق وبعد سنوات مريرة خاضها شعبنا ضد قوى الاستعمار والفاشيستية .

إن معرض طرابلس الدولى سيقام - كما تعلم - ياسيدى فى شهر فبراير المقبل وأن شعبنا الصغير الناهض ليبذل جهوداً كبيرة فى انجاحه والتعريف به وليعتبره حدثاً ضخماً فى تاريخنا الاقتصادى والسياسى الحديث بعد أن تدفقت آبار البترول من مدة قريبة جداً فى بلادنا بأكثر غزارة وأخصب عطاء من الأمطار التى كنا نعيش عليها عشرات السنين مجتمعة .

فلماذا يوافق تاريخ نبوءتك هذا الشهر بالذات ؟

ألا ترى أن هذا مفزع ومثير للسخط ؟

ألا ترى أن هذا مرعب لدرجة مخيفة ؟

« أوف » أنك مزعج حقاً وثقيل الظل حقاً ياسيدى الخواجة واغفر لى هذا الوصف لأننى بصراحة لا أحب النكات الباردة وخصوصاً إذا كانت من النوع الإنجليزى .

فإذا كان العالم يعيش بأعصاب متوترة هذه الأيام وإذا كان القلق والفزع يسودان شعوب الأرض فمما لاشك فيه أن العمل الجدى تجاه هذه الحالة هو الوقوف فى مستوى الأحداث والمشاركة الجدية فى حسم مشاكل العالم وليس التهتهات الصوفية الخائرة والتمزق الروحى الكريه أو التنبؤ بدمار العالم وانتهائه كما فعلت أنت وكما فعل أحد الروحانيين من الهنود والسحرة والحواة الذين لايزالون يملأون أرض الهند .

أنا لست عالماً ياسيدى الخواجة ولكن اغفر لى أن أقول لك وبكل بساطة بأنك لست عالماً أيضاً إنك مشعوذ ليس غير ذلك لأننى أؤمن بالعلم وأؤمن من خلال قراءاتى بأن الإنسان وحده هو الذى صنع العلم والمعرفة وسخرها فى سبيل مصالحه واستولى على قوى الطبيعية وحولها إلى ثور كبير طيع يقوده أينما يشاء وبالطريقة التى يحتاجها إليه .

وأن العلم ياسيدى الخواجة رغم ماينوء به عالمنا من أخطار ورغم مايسيطر على أعصابه من توتر وقلق لايمكن أبداً أن يخذل الإنسان كما تعتقد أنت بل على العكس تماماً سيظل العلم والتجربة دائماً أقوى درع لحماية الإنسان من قوى الغيب والعشوائية وحتى - من العلماء - الذين يتنبأون بنهاية مصير العالم .

وأسمح لى أخيراً أن أقول لك أن الحياة مبهجة حقاً وجميلة حقاً وليس من السهل التخلى عنها وخصوصاً لإنسان مثلى مازال صغيراً أضع يدى على قلبى فى اشفاق وأحس بأن الحياة ساحرة وأنها جديرة بأن تعاش بانفعال وقوة وعمق وإقبال .

إننى لم أتزوج بعد ياسيدى الخواجة ولكننى لا آسف على ذلك ربما لأننى أتخيل أن القمر ممتع حقاً وأن أسبوعاً أقضيه متسكعاً فى ربوعه هو الآخر أكثر إمتاعاً وأعذب بهجة .

ولذلك نؤخر حكاية زواجى وربما بعد أن يصير فى متناول الإنسان قضاء شهر العسل هناك إما إذا - صدقت نبوءتك - فلا اعتقد أننى سأؤخر شيئاً ذلك لأنه لايروق لحبيبتى قضاء شهر العسل فى الجحيم .

وفى فبراير المقبل أرجو أن تتقبل الدعوة بمشاهدة معرض طرابلس الدولى وربما ستعجب بروعة إعداده وأنا أراهن بأنك ستنفق كل نقودك فى شراء منتوجاتنا الوطنية إنها هدايا مبهجة وستقنع بأنها مفاجأة سارة لك ولابنتك الحسناء زوجة الضابط الإنجليزى وإلى اللقاء .

النص الثامن .

أنا هنا ياابن الحلال .

مسكينة الفتاة الليبية كل من هبَّ ودب وكل من دب وهب وأمسك بالقلم وتوكل على الرب يكتب عن هذه الفتاة فيتطوع للدفاع عنها ويناقش قضاياها ومشاكلها وكأنه مبعوث من السماء لإنقاذها من الأكشاك التى تعيش فيها .

كلما شكت هذه الفتاة يقال لها فى تأسف مسرحى مفتعل « معليش اصبرى شوية » وكلما عبرت عن مشاعرها الحائرة وارادت سبباً معقولاً يبرر قلقها وجمود الحياة التى تعيشها تأتيها الحلول من كل فج على طريقة « يوسف وهبى » فى شكل نصائح تافهة لاتزيد إلاّ فى تعقيد المشكلة وتضخيمها تماماً مثلما يجلس الفقهاء تحت جدران المقابر ويكتبون الأحجبة للعجائز بجلب البخت للعوانس ولشفاء المرضى وهذا يشرب « الفيجل » وحليب الناقة الجرباء والثانى يبخر سبع مرات « بالزعتر » وروث الذئب الجائف الثالث حرز« الأندرون » يعنى عود فى عين الحسود والناوى ومانوى والشفاء على الله .

وفى النهاية طبعاً لاشيء مجرد كلام فارغ مجرد نصيحة غير مخلصة ومجرد كلمات جوفاء وعبارات تطمين كاذبة وأنالا أكتب هذا المقال لأحد إنما اكتبه للفتاة الليبية نفسها وهى تدرك أن مشكلتها ماتزال قائمة رغم طول الفقهاء ورغم براعتهم فى اختيار المعجزات وتلفيق كلمات السلوان .

اكتب لها وأضعها أمام مسؤوليتها كإنسانة لها إرادةوعقل وكيان وهى المسؤولة وحدها أمام السيل من المنقذين الذين تبعثهم العناية السماوية لإنقاذها ولتفهم بعد ذلك مقدار انعدام عنصر الإخلاص والموضوعية والفهم العميق الذى يبذل فى مناقشة قضاياها .

وهذه إحدى العينات من الأحجبة التى تمنح لمنع الحيرة والشعور بالمرارة والدونية التى تعيشها المرأة فى بلادنا وهذا الحجاب لايبخر بالجاوى أو الزعتر هذه المرة ولكنه حجاب من نوع جديد ربما يمزج « بالريف دور » واحمر الشفاه والحكاية بسيطة .

بعثت إحدى فتيات طرابلس إلى الأستاذة زينب الحكيم المحررة الاجتماعية بجريدة فزان تشكوها من أن كل زميلاتها تزوجن وهى لم تتزوج بعد وليست أقل منهن جمالاً أومركزاً وأنا أنقل هنا النص ماجاء بتاريخ 20 / 11 / 1961 م فى رد الأستاذة زينب التى تقول :

« المسألة ليست مسألة جمال أو مركز فقط وحيث هذا ميسر لك فموضوعك قد سهل اعرفى كيف تعرضين مميزاتك فإن زميلاتك اللاتى سبقنك فى الزواج عرفن هذا مثال ذلك إذا ذهبت إلى السوق لتشترى زوج حذاء مثلا فقد يعجبك فى « الفترينة » فتدخلين إلى المحل وتطلبينه وقد تجربينه على قدميك ومع ذلك لاتشترينه وتذهبين لدكان آخر وقد لاترين فيه ما يعجبك ومع ذلك لاتخرجى من المحل إلاّ وقد اشتريت الحذاء لماذا ؟

الوضع فى الحالة الأولى التى أعجبك فيها الحذاء فى « الفترينة » ثم لم تشترينه معنى هذا أن البائع لم يكن من المهارة بالدرجة المغرية أوالمرغبة لك بشرائه ولم يعرضه عليك بالشكل الذى يشجعك على اختياره.

حال أن البائع الذى عرض عليك الحذاء فى المرة الثانية « أى حذاء » قد عرف كيف يعرضه عليك بأن حمله أمامك بشكل أنيق ولمعه فى تواضع بأن لمس به كم بدلته فحملك كل هذا إلى شرائه والانتفاع به.

افهمى أن لفظاً بسيطاً تقولينه فى رقة مناسبة موفقة تنم عن جوهرك الثمين الذى يبحث عنه الكثيرون فتخيرى الأوساط التى توجدين فيها وتحينى الفرص لايضاح شخصيتك بدون اندفاع وراء فكرة الحرص على الزواج ولاتظنى أنها الفرصة الوحيدة التى قد تقابلك ولابد من أن تنالى فيها رغبتك الفرص كثيرة فلا تخافى.

هذه هى النصيحة التى تقدمها الأستاذة زينب الحكيم لهذه الفتاة.

والواقع إنها نصيحة مغرية فعلا ولاتتطلب إلى مجهود وعلى أساس فإن كل من تريد الزواج أن تبحث لها عن « فترينة » تعرض فيها بضاعتها ولاتنسى أن يكون لها نصيب من المهارة وتدبير الرأس والحكاية بعد ذلك فى غاية البساطة « إيه يعنى فراشية » بيضاء شفافة يبين منها الفستان الأخضر الذى يضيق على الخصر وكعب عالى لماع من « باتا »ومشية «تيب تاب » من طراز « مارلين مونرو » أوهند رستم ثم كلمة غزل بريئة وأنا هنا ياابن الحلال ويتم بعدها كل شىء على مايرام عرس وزمزامات وفى النهاية مرحباً « يامرات خوى حلوة دى ».

« ياسلام يابنات على البخت اللى يكسر الحديد ».

« ياسلام على الدنيا قداش مازالت حلوة ».

أراهن أن « سيدى كريم » يعجز عن وصف مثل هذا الحجاب.

وأراهن أن الدولة ستصدر قانوناً لحماية أولاد الحلال أمثالى من مضايقات الجنس الحلو.

هذه أفكار « يوك » ياأستاذة زينب أعنى أنها أفكار تركية « ماتمشيش » عندنا ذلك لأن الفتاة الليبية كما تعلمين تعيش حياتها « بلا فترينات » حياة كلها مساء جمعة أعنى أن « الفترينات » مقفلة بقرار من البلدية « والفترينة » الوحيدة التى تعرض بضاعتها فيها هى البيت ذو الجدران الأربعة وشبابيك عين الزرزور البيت وحدة هو البعد الحقيقى الذى تتزوج عن طريقه الفتاة وهى « فترينة » قديمة جداً وينقصها الكثير من وسائل الإعلان والدعاية ولايقصدها إلا العجائز كما تعلمين وهن غالباً مايكن مشتريات مفلسات أو غبيات لايخترن « الكنادر » الجيدة ولكن يتورطن فى « الشلاليك العفاسى ».

ومن هنا تنبع المشكلة ياأستاذة زينب مشكلة وضع المرأة بصفة عامة داخل الأطار الاجتماعى الذى تعيشه مشكلة موقف المرأة نفسها من القرار البلدى الذى صدر لقفل « فتريناتها » وإحالة حياتهم إيام كئيبة وموحشة تماماً مثل مساء كل يوم جمعة فى مدينة طرابلس المشكلة أنها « رئة معطلة » كما يصفها بلغة الأدباء فريد سيالة وماتزال تتحكم

فيها اعتبارات اجتماعية غاية فى التأخر والانحطاط ووضع المرأة داخل هذه الاعتبارات لاشىء فقط كيان مسكين يحتاج إلى أكثر من عملية ترميم كاملة واصلاحات وإنارة وأعمال كثيرة ترهق المقاولين خصوصاً بعد ارتفاع سعر الجنيه فى بورصة المهور بصعود 250 مرة .

والنصيحة التى تقدمها الأستاذة زينب هنا هى أن تكون الفتاة من المهارة والبراعة لاجتذاب الانظار إليها ولو بطريقة احتيال أنيقة والحكاية أن الفتاة لم تسأل كيف تتزوج ولم تطلب شبكة لاصطياد أولاد الحلال ذلك لأن أولاد الحلال « كملو » وماعادوا يميلون إلى أعمال المقاولة وهى نفسها تدرك جيداً هذه المسألة إنما كان تساؤلها إنها تشكو لماذا لم تتزوج بعد بينما كل زميلاتها تزوجن ؟

والواقع أن هناك آلافاً أخرى مثل هذه الفتاة مازالت تحطم أعصابهن الحيرة والمرارة والخوف من المصير الغامض الذى ينتظرهن فانعدام مبدأ حرية الاختيار وانصراف أغلب الشباب عن فكرة الزواج بالطريقة « العميانى » ثم اخضاع تحديد المهور إلى أذواق الأمهات فضلا عن اعتبارات أخرى لاتقل عنهاسخافة كل هذه الأشياء تكون عاملاً يبعث على الخوف والحيرة والشعور بعدم الاطمئنان فى وجدان الفتاة ونفسيتها وتصبغه بالمرارة والشيئية والانهزام .

هذه هى القضية ياأستاذة زينب وعلى الذين يتطوعون لمناقشة المرأة فى بلادنا أن يفهموا كيف يردون على هذا السؤال وأن يكونوا على جانب من الوعى بالظروف الموضوعية وفهم الواقع الاجتماعى الذى تعيشه هذه المرأة من غير « كنادر » ملمعة بكم بدلة ومن غير مشية « تيب تاب » ذلك لأنها كما قلت طريقة « يوك » ماتمشيش عندنا » .

النص التاسع .

أحاديث عابرة .

قرأت مقال الأخ أحمد إبراهيم الفقيه » تحت باب كل يوم بعنوان « الوجه الآخر » وأنا من المعجبين بكتابات أحمد تحت هذا الباب وهو يبذل مجهودًا واضحًا فى إعدادها كما نرى ولكن لم تعجبنى الطريقة التى كتب بها مقال الوجه الآخر بل كتبه بطريقة أغاضتنى جداً .

إنه يتكلم عن المجرم الذى قتل خمسة من النساء ببلدة « زليطن » بدافع الحب وأنه أحب فتاة ثم قتلها مع أربعة نساء من أهله وأهل هذه الفتاة بطلقات نارية من مشدسه ثم يتساءل أليس الحب هو العاطفة النبيلة هنا ؟

إن المجرم عندما ارتكب جريمته لم تكن لأنه أحب فقتل ولأنه أحب فبذلك أصبح قاتلا .

إن الجريمة كانت دفاعاً ضد الحيلولة دون المجرم وهذا الحب وأن المجتمع هو الذى أفقده قيمة الإحساس بالعاطفة النبيلة التى يتكلم عنها أحمد والتى عاشها فعلا الجانى قبل الجريمة رقراقة وصافية كجدول غدير من الماء ثم انتزعت منه هكذا بدون رحمة وبحكم أوضاع اجتماعية جائرة فاستحال هذا الإنسان بسبب هذا الحرمان من محب طيب إلى مجرم خطير .

إن أحمد بكل أسف لم يدرس الأوضاع الاجتماعية التى عاصرت هذا الإنسان والتى أحالته إلى مجرم رهيب ولم يحاول أن يبحث عن مضمون الوقائع المادية التى تلخص الحادثة وتكشف عن أسبابها والدوافع التى أدت إلى ارتكاب الجريمة إنه مثل القاضى الذى يجلس على منصة القضاء ويصدر أحكامه دون أن تهمه كثيراً ظروف المجرم ودون محاولة إيجاد التبرير المنطقى لارتكاب الجريمة .

إننى لا أدافع عن الإجرام ولا أستسيغه ولكننى أحاول بطريقة منطقية أن أجد الدوافع التى أدت إلى هذا الإجرام .

فإذا كان الحب هو العاطفة النبيلة التى ترمز إلى كل خير وجمال كما يقول فيها رأيك فى موقف إنسان يحرم هذه العاطفة لأسباب اجتماعية قاهرة .

وبالرغم من أننى لا أستطيع قتل دجاجة فى الوقت الحاضر ولكننى أؤكد بأننى على أستعداد كامل لأن أقتل جميع سكان العالم إذا ما أحالوا بينى وبين حبيبتى التى أحبها والتى أدين لها بحياتى وسأكون أيها الأخ فى ظروف مريرة وتحت ضغط نفسى لايهتم بالنتائج وربما على استعداد إلى أستحيل إلى وحش كاسر يهدم كل شيء .

إن عاطفة الحب تدافع عن نفسها عندئذ وتتحول إلى قوى طاغية ومدمرة ذلك لأن المجتمع يحول مجراها إلى تيار عكسى .

إن الذى دفع هذا الإنسان إلى القتل والجريمة هو الدفاع عن الحب وبقصد الإبقاء على المشاعر النبيلة والعاطفة الرائعة فى أعماقه وفى هذا المجتمع يستحيل الحب والإحساس به إلى مشكلة إلى أزمة وإلى إنسان قاتل مجرم لايتورع تحت الظروف

القاهرة أن يرتكب أبشع الجرائم وذلك لأن هذا المجتمع لايعترف بالحب ولا يحميه وفى اعتقادى أن النسوة الأربع القتيلات كن طرفاً فى المشكلة وربما كن يمثلن قسوة المجتمع فى حرمانه من هذا الحب والتفىء بظلاله وتذوق حلاوته والإحساس بالمشاعر النبيلة التى يتكلم عنها أحمد فى براعة يحسد عليها والتى لاتعدو أن تكون كلاماً رومانطيقياً خالصاً يسبح فى عالم « اللازورديات المسحور.

ولكم بودى أن يتوخى الأخ احمد فى كتابته الصدق والدقة والانضباط السليم والتركيز فى كتابته ذلك لأن قضية هذا الإنسان المنحرف هى نفسها قضية الإنسان الذى يعيش هذا المجتمع وأن المشكلة لتزداد حدة عند الإنسان السلبى الذى يمصمص، شفتيه عندما تحصل له نفس المشكلة ويتقوقع على نفس مترسباً فى أعماقه الحقد والكراهية والضغينة وأنا اعتقد أن هذا الإنسان أكثر إيجابية أو أنه استطاع أن يكون فى مستوى الأحداث بطريقته هو وبأمكانياته هو ولتذهب النتائج إلى الجحيم وذلك لايهتم بالنتائج ولايلقى إليها اعتباراً طالما أنه حرم من حبه زد على ذلك أنه إنسان الخامسة والخمسين من العمر يعنى كهلاً ولم يتبق له من حياته سوى سنوات قليلة فالحياة عنده بهذا الشكل لاتساوى شيئاً بدون حبيب يملأ عليه حياته ويؤكدها ويدفئها ويحيلها إلى شباب وقوة من جديد أن حياته تصبح كهلة وعجوز شمطاء وليست جديرة بأن تعاش إذا لم تحتضنها فتاة صغيرة امرأة فى عمر الزهر لتحيلها إلى قوة وامكانية تتجدد كل يوم.

والقضية أيها الأخ ـ ليست قضية محرر فى جريدة يود التخلص من مقاله ليدفع به إلى المطبعة ولكنها قضية إنسان « حبوب » وطيب حولته الظروف والقوى الاجتماعية إلى مجرم قاس وكريه هكذا بكل بساطة وهو إلى جانب ذلك إنسان عادى لم تشقه هموم المعرفة وليس على قدر من الأخلاق والقيم.

إن المعايير الأخلاقية والقيم التى تعارف عليها المجتمع لتنهار جميعها أمامه عندما يحرم من حبيبته الجميلة يكفى أن يحرم من حبه يكفى ذلك أنه إذا ما أخذنا فى الاعتبار تعطش هذا الإنسان إلى الحب وخصوصاً فى سن هو أحوج إليه من أى إنسان آخر.

إن الخامسة والخمسين أيها الأخ ـ أحمد زمن الشيخوخة وأنت لم تعرفه بعد ولكنه « الوجه الآخر » على حد تعبيرك إنها إنطفاء العمر وجدبه وهى فضلاً عن ذلك الباعث على أن يشعر بأحاسيس حزينة تعكس احتجاجاً صارخاً على الحياة وعلى زوالها هكذا بكل بساطة وبكل قسوة أن الحب ـ أيها الأخ ـ فى هذه السنوات بالذات عملية ديناميكية كما نقول تجدد العمر وتضيع عليه ثياب الصحة والتوهج والعافية ومن ذلك يأتى حكمك مبتسراً وعقيماً وعاجزاً أن يأتى بتفسير منطقى لارتكاب المجرم فعلته.

اعذرنى ـ أيها الأخ الفاضل ـ فى انفعالى ذلك لأن الإنسان من حقه ان يحب حتى ولو كان فى الخامسة والخمسين وأن يقتل الفتاة التى أحبها أيضاً لأنها هى الأخرى استحالت إلى قوة شريرة فى نظره تمثل المجتمع وقسوته بعدما كانت أملاًملأ عليه حياته ثم انطفأ وخبا.

أنا لايهمنى « رجب حسين الهومى » وهذا اسمه فسيلقى جزاءه والعدالة كفيلة بأن تقوم بهذا الدور.

ولكن الذى أود أن أقوله أنه ليس هناك

شيء اسمه الوجه الآخر فى الإنسان ولكن الوجه الآخر ياأحمد هو انعكاس للزيف الاجتماعى وهو التركيب الاجتماعى المتخلخل فى مجتمع متخلف وهو أيضاً التراكمات والترسبات التى لم تجد لها متنفساً وبذلك تظهر على شكل « آخر » حاقد وكريه ومظلم أما الإنسان البسيط أما الإنسان الخالى من التعقيد ومركبات النقص والقهر فهو إنسان طيب حنون يمثل خيار الإنسانية وأصالتها وأننى أكره أن يوصف الإنسان بالإجرام دون دراسة واقعه الاجتماعى ودون إبداء الأسباب والمبررات التى أدت إلى إجرامه .

إن هذه الفتاة لم تعد حبيبته وبذلك فلتذهب هى الأُخرى الى الجحيم .

والقضية لم تعد رغبته معانقة هذه الفتاة ولكن القضية هى العاطفة والتوهج والمشاعر الصافية التى أحس بها فى أعماقه وعايشها زمناً ثم خبت ثم تهدمت فجأة .

لماذا لأن هناك نسوة أغرين فتاته باتخاذ موقف ضده ونكرنها عليه إذن هذه هى القضية ومن هنا تنمرت الأنانية البشرية الأنانية المتأصلة فى أعماق الإنسان المدافعة عن حب الذات وحب البقاء .

ماذا تهم النتائج أذن ؟

وماذا يهم أن نعيش فى السجن أو نموت طالما نحن بعيدين عن أحبائنا أحبائنا الذين كنا نحس ذات يوم أن الشمس تشرق من أجلهم وأن الصباحات الجديدة تحتضن وجوههم الجميلة فى حب وشوق لتؤكد لنا أن الحياة رائعة ويجب أن نعيشها ونفرح بعمرنا خلالها .

وللأخ أحمد تحياتى وحبى .

النص العاشر

عندما أنحنى السور

أسرتنا أصبحت كبيرة هذه الأيام والمواليد تزداد باضطراد والعائلة تتسع وتكبر بهذه المواليد التى تفد علينا كل مرة وقلوبنا تكبر أيضًا وتتسع أيضًا لتستقبل أبناءنا سليمى البنية والمتلئين قوة وصحة وتوهجًا.

آخر الآباء كان كامل المقهور بمجموعته الجديدة الرائعة.

إن 14 قصة من مدينتي أستطاع أن يعطينا كامل من خلالها دليلًا كبيرًا على أمكانية الفنان الليبى ومقدارته الخلاقة لبناء تراث فنى أدبى لثقافتنا الليبية المتطورة وهو أحد المكاسب التى حققناها فى مجال الإبداع الفنى لحصاداتنا الفكرية،

والشرائح الحية التى يقتطعها كامل من واقعنا الاجتماعى ليقدمها لنا فى تجارب عميقة تزخم بالابداع والتألق إنما هى دلالة عن فهم موضوعى لمضمون الواقعية وحقيقة الصراع الإنسانى وعمله الدائب من أجل حياته وحبه وكفاحه الرائع المستميت وحقيقة أخرى هى أن الإنسان هذا المخلوق الجبار والرائع لايمكن أن يستسلم هكذا بدون أن يناضل ولا يمكن أن ينهزم بدون أن يستبسل.

إن قيمة العرق والمعاناة من أجل أن يعيش الإنسان لتبدو غالية وثمينة من خلال التعب الإنسانى الذى تحتضنه هذه المجموعة وتبرزه فى إطار فنى بعيد عن التقعر والافتعال ومن هنا تأخذ هذه المجموعة طريقها فى درب ثقافتنا لتشير لنا على فنان متمكن من أدواته ووسائله وكاتب يحمل فى أعماقه مفهوم الفن الحقيقى والموضوعية الحقيقة عندما نتناول تناقضات الحياة والواقع الذى نعيشه وعندما نحاول أن نكتب عن هذه التناقضات وحقيقة الدور الطليعى الذى يمكن أن يؤديه الكاتب لينير الطريق للإنسان فى دأبه الصاعد المستمر.

وفى هذه السياحة القصيرة لمحاولة إلقاء بعض الأضواء على هذه المجموعة نلتقى نحن أبناء محلة كامل وجهًا لوجه من جديد مع طفولتنا القاسية والجميلة معًا ومع حياتنا القديمة وما صاحبها من تجارب حزينة ومريرة ومفرحة أيضًا فى بعض الأحيان.

وتتميز الشخصيات التى أختارها كامل لقصصه بأنها نماذج حية متفاعلة وهى ليست أنماطًا مسطحة أو ذهنية يحركها المؤلف بقصد تمثيل آرائه وإنما هى نماذج للإنسان الحقيقى الذي يضطرب ويتحرك فى الواقع المعاشى ويتصرف وفقا للحدود الفكرية والسلوكية التى تتميز بها شخصيته.

وهى تتميز كذلك بأنها تمثل فئات الجماهير العريضة التى يزخر بها مجتمعنا وما ينعكس على حياتهم من فقر وعوز ونضال مرير فى سبيل العيش والحياة.

إنهم من أجل ذلك يناضلون حتى فى أسوأ ظروفهم الاجتماعية حيث البطالة تهددهم حتى فى آخر حلقة وحيث الموت يترصد لهم كل دقيقة كما فى «الخائفون».

لاوقت عندهم للمشاعر الرومانطكية والسرحان الميتافيزيقى إنما هم فى عمل دائب ومنتج يتصرفون بإيجابية خلاقة حتى فى أحلك المواقف التى يتعرضون لها بالرغم من قصور أمكانياتهم وضعفها كما فى « السبب » .

إن الإنسان فى هذه المجموعة نمط متمرد صبور واثق من قدرته على أن يصنع شيئاً وهو بسيط يحمل هم الدنيا على عاتقه بشجاعة وصبر فائقين معتمداً على أمكانياته هو وقدرته دون اللجوء الى التواكل والقدريات وهو إلى جانب ذلك لاتمزقه هموم الفلسفة ولا تشقيه عذابات المعرفة إنما هو إنسان من الشعب البسيط الطيب .

وإذا كانت القصة القصيرة تعتمد فى أساسها على أختيار اللحظة كبؤرة إشعاع للأحداث فإن كامل عندما يختار هذه اللحظة لايقف عندها بل يشتتها فى مجموعة من الأبعاد الزمنية الأخرى تتفاعل على الاحداث لتعمقها وتطورها بحيث تعكس مجموعة من الخواطر المتباينة وبحيث لايضر هذا التشتيت بالوحدة العضوية للحظة نفسها بل يبلورها فى نسيج متشابك ينبع من توترها الزمنى الأول .

فقصة الطريق مثلا وهى أولى قصص المجموعة تعكس هذه الخاصية بطريقة فذة .

آلاف الخواطر تتوارد على أذهان ركاب سيارة « البولمان » الأربعين المسافرة من طرابلس الى بنغازى وهمهاتهم وشخيرهم كلها تكون مجموعة عجيبة من المشاعر والأفكار المتبانية المشتتة والطريق يطول والأرض معبدة هى الأخرى بآلاف الخواطر والوجوه وسائق السيارة تبدأ من سؤال الطفل الصغير الجالس وراءه عن موعد وصولهم وهذه اللحظة تعود بالسائق الى الوراء ابنه « عليوة » المريض وهو يحتاج إلى العلاج ويحتاج للذهاب به الى المستشفى وبالرغم من أنه لايستطيع ذلك بسبب العمل الدائب ولكن كامل استطاع أن يبرز صورة عليوة الممتد على الفراش (....) فى مخيلة هذا الأب المكافح والقلق فى زوايا الحجرة الضيقة انعكاسًا لاستدارة الطريق الممتد على الجانبين قلقًا يهدد بالموت والفزع والمخاطر وحيث يمتد الطريق كذلك الموت أمامه مزعجًا كريهًا يهدد حياة « عليوة » .

الطريق هنا رمز للموت والمشقة وقسوة الحياة حتى عندما يبرزه كامل انعكاسًا لامتداد الطابور أمام المستشفى إنما يرمز إلى الموت وصعوبة العلاج .

والقصة تعمر بهذه اللحظات الحية وتتشابك عدة مرات فى نسيج حى ليشكل الارتباط الزمنى المتكثف فى إحساسه بمرض ابنه .

ولم يكن الطفل الصغير إلا تجسيدا لإحساس الأبوة الذى يجيش فى قلب السائق وهو يقول له « قعمز بحداى يا ولدى تعال ونسنى »

والقضية الأخرى التى تثيرها هذه القصة على جانب كبير من الأهمية وهى فداحة الإحساس بتشتيت البلد الواحد وبعد الشقة بين أجزائه والغربة وتباين الطرق الحياتية التى يعيشها كل جزء .

« بوخة » قصة الإنسان الضائع الملقى على الرصيف وقد فقد كل ما يمكن أن يربطه بإنسانيته فقد عنصر الزمن والمكان والأهل معا .

وارتمى هكذا مجرد إنسان بلا قيمة ملقى على الرصيف حتى عندما أحس بنفسه وتلمس

وجوده أوقعه المؤلف فى حلقة أخرى من الضياع وفقدانه القدرة على تحديد أى طريق يسلك .

« إن الأربع عرصات » التى اختارها كامل امتدادًا لانطلاق أحداث القصة إنما هو اختيار موفق وتعبير عن الموقف المتبلبل والغير محدد الذى يمثله هذا الإنسان المأزوم حتى العمل حتى الجهد الإنسانى المهدر أمام بوابة الميناء ثم العمل بداخله والكدمات الزرقاء والثياب المتسخة والحذاء المثقوب كل هذه الجهود الضخمة تذهب عبثا هى الأخرى ولا تساوى شيئًا سوى عشرين قرشا تعمل هى الأخرى فى تعميق المشكلة وتفتح فى دماغه ثقبًا هائلا من التفكير فى هموم الحياة ومطالبها وفى النهاية كل شىء عبث ولا يساوى غير كوب آخر من « البوخة » .

لقد اعجبت جدًا باللقطات البارعة التى قدمها كامل فى تصويره لأحيائنا الشعبية وأجواء الحانات الرخيصة التى يرتادها أمثال بطل هذه القصة .

وقصة « الكرة » شريحة جميلة اقتطعها كامل من واقعنا عن حياة الأطفال وشقاوتهم ومشاجراتهم المحببة .

وهى تصوير بارع لنفسية الطفل « عبدالله » وقد سلط عليه المؤلف أحداثًا من الخارج وهى علاقات أمه المشينة بحيث انعكست هذه الأحداث على حياة « عبدالله » إن ابن الحاج يقول عن أمه أشياء مخجلة تجرح قلبه الصغير الصامت .

وهذه النفسية الصغيرة المثقلة بالألم والدموع نحس معها بحزن عميق محفور فى وجدان هذا الطفل استطاع كامل أن يبرزه فى هذه القصة المنفعلة .

وقصة « الخائفون » تمثل الفزع والسكون والدمار وتعكس حياة الجماهير فى بلادنا عندما كانت تتعرض لأهوال الحروب وفظاعتها وقد أعجبتنى الطريقة التى عبر بها كامل عن موضوعه وكيفية تناوله ورسم الشخصيات الخائفة الفزعة فى جو مشحون بالموت والدمار .

إن قضية الحرب وأهوالها وما تجره من ويلات ومحن هى عند كامل بكل بساطة مسألة حياة طفل صغير يموت مقطع الأشلاء مهشم الرأس يملأ التراب عينيه الصغيرتين ونصف جسمه تغطيه الانقاض والحرب فى هذه القصة ترمز الى البشاعة التى تتآمر على حياة الأطفال ونضارتهم وانتزاع البسمات الجميلة من أفواههم وملئها بالتراب ورائحة البارود واللقطة الموحية فى هذه القصة أن الأب عامل

الميناء الذى كان يحمل القنابل على كتفيه والذى كان يحفر المخابىء للناس القادرين علي الدفع بعد انتهاء عمله فى بالميناء هو نفسه الذى تعرض لدمار هذه القنابل أنه تماماً كما قال له معمر زميله فى الميناء « عزرائيل على كتفيك ياعلى يمكن القنبلة تطيح على حوشك » وهو ايضاً الإنسان الذى يحفر المخابىء ولم يجد مخبأ يحمى حياة ابنه من الموت .

لقد كان يؤمن أن الحياة قاسية والصغير رمز الحياة والتجدد يحتاج الي الكثير ومن أجل ذلك كان يعمل ليل نهار لابتسامته المشرقة ولمداعباته الصغيرة ولمستقبل شبابه وأيامه .

ولكن الطفل يموت هكذا بكل قسوة مقطع الأشلاء والتراب يملأ عينيه ونصف جسمه تغطيه الانقاض والسكون رمز

الخراب والخواء يسيطر على حياة الجميع إنه دائما هذا السكون.

وقصة السيد بالرغم من أنها ترمز للقوة الغاشمة التى يمثلها الاستعمار لنهب مقدرات الشعوب وبالرغم من أن لفظة « التنتى » تعنى لنا أبناء هذا البلد ذكريات مريرة بالرغم من ذلك فقد عكسها كامل فى قضية صغيرة تمس حياة مزارع من بلادنا مباشرة إن الاستيلاءعلى اراضينا واحتلال بلادنا تعنى كلها عند هذا المزارع الاستيلاء على « سانيته » هو بالذات وبالتالى الاستيلاء علي حياته هو وحياة أبنائه وأنه لايفهم معنى للاستعمار ولا مسببه ولكنه عرفه من أصوات « البارزان » وأحذية الجنود التي تفسد حقول برسيمه وفجله والعساكر الذين اخذوا بقرته وبقروا بطنها التى صكت ثم هدت.

والقضية أصبحت بالنسبة اليه ان هذا العلم المثلث الألوان الذى يحيل حياته فى خطر تجب مقاومته وعليه ان يقوم بعمل شيء ضد هؤلاء السارقين وعليه أيضاً أن ينتقم لبقرته وسانيته حتي حين أمسك بالمحشة وغرسها فى عنق الملازم وهو يصك ويخور ويخرج لسانه من بين اسنانه تماماً كما فعلوا ببقرته.

وهذا هو التبرير المنطقى للمقاومة أن نحس حياتنا فى خطر دون اللجوء الى الخطب الحماسية الجوفاء ودون داع الى استعمال معايير غائمة.

وقصة السور تعجبنى جداً ربما لأنها تثير قضية تمس حياتنا جميعاً او ربما لاستكمال عناصرها الفنية والموضوعية وربما لأنها اكثر من هذا وذاك فهى قضية الانسان والحياة فى مجالها الشامل الرحيب.

ومن ثم انحنى لهذه القصة الرائعة تماماً كما انحنى السور الكبير بجنوده وأضوائه أمام هذا الجزء الحبيب من أرضنا الشجاعة الطيبة.

وكلمة « خلاص » التى تبدأ بها القصة تثير فى نفسى العديد من المشاعر والأشجان.

إن اختيار المؤلف لهذه الكلمة إنما هو اختيار موفق جداً إن كلمة « خلاص » تعنى الكثير.

إنها قضية « العزومات » وقضية « الفلوس » التى هى « زى » التراب وقضية الأرض الحزينة الذابلة وحقول الطماطم والبصل والفجل والزيتون التي يبست وحشتها « التراكتورات » وعبدها القطران.

إن هناك أفكاراً كثيرة تلح عليه أن يبيع أرضه عدم الإمكانيات الفنية وقلة الأدوات ووسائل الانتاج وهو لايملك المال الكافى لتوفيرها ثم جيرانه الذين باعوا وقبضوها لماعة جديدة وشريط أبيض « .... »(1) من الوسط.

ورغماً عن هذا الإغراء المتزايد فإن هناك ايضاً ذكريات وأشياء حبيبة تربطه بأرضه والده الذى عاش طوال حياته فى زراعتها وامرأته الزينة المكافحة ثم ابنه مسعود ومحشته الصغيرة ونخلته وحظيرة الأرانب التي اقامها وسط هذا الحقل كل هذه العناصر تقف حائلاً دون البيع دون اقتطاع عمر كامل وحياة كاملة بها ذكريات محببة لآمالهم التي حلموا بتحقيقها والتي حرموا منها أيضاً.

وهكذا انحنى السور من الأسمنت المسلح بأنواره الساطعة والجند من ورائه بأسلحتهم انحنى فى انهزام أمام قطعة الأرض الصغيرة الرائعة.

ويسلط كامل الأضواء فى قصة « الميلاد » على تقاليد مجتمعنا ويرسم لنا صورة طريفة عن عاداتنا الزوجية ثم يثير قضية الزوجة التي يسقط جنينها قبل نموه بسبب خلل أو ضعف في تركيبها « الفسيولوجى » وتأخذ الرغبة في انجاب الأطفال فى نفسية بطل القصة تزداد حدة والحاحاً كلما قربت زوجته من الانتهاء من أيام حملها ومن خلال الأحداث التي تخللت هذه القصة نلمس مدى المعاناة التى يعيشها هذا الزوج وهذا الصراع الذى يشكل حبه للأطفال من جهة ومن حبه لزنوبة زوجته من جهة اخرى وهى الإنسانة التى يمسكها فى قلبه إنسانة عزيزة عليه.

وبالرغم من سلبية الطريقة التي عولج بها موضوع انجاب زنوبة والاعتماد على الوسائل البدائية كالأحجبة والفقهاء فإن الموقف الذى ختم به هذه القصة كان غاية فى الإيجابية والنبل.

وتبقى عدة قصص فى هذه المجموعة تحتاج إلى تقييم وهو أمر يطول بنا على أننا نوجزها فيما يلى محاولين إبراز الخصائص الحساسة التى تتميز بها والقضايا نثيرها وهى :

- القضايا العالمية وما ينشأ عنها من صراع بين العمال وأصحاب العمل وقضية البطالة التى تهدد الطبقة العاملة كما فى آخر حلقة.

- المقاومة الشعبية التى كانت تشنها بلادنا ضد الغزو الإيطالى وصمود هذه المقاومة والفاعلية والتجاوب الذى كانت تلاقيه جماهيرنا الشعبية حتى الذين اقعدهم الخوف عن القيام بدورهم كما فى عاشور إن عاشور هذا البطل اللامرئى والرمز الرائع لهذه المقاومة صورة حية من الشخصية الليبية ذات الجبهة السمراء الباسلة والعيون التى تقدح بالشجاعة والصلابة والإقدام.

- القيمة الإنسانية التى يضيفها العمل على الإنسان ومدى أرتباطها بالحب وروعة هذا الحب الفعال من اجل إثراء الحياة وتألقها بعرق الإنسان المكافح.

ان قصة الصندوق الأخضر تعكس ببراعة هذا الحب وما تعنيه شخصية سالم عند هذه الأسرة المحرومة والقصة تقول لنا إن العمل والتعب فى سبيل أن تكون الحياة مجدية ولها غاية هو العنصر الجدير بالحب والاهتمام.

إن بدلة سالم التى تأخذ مكانها داخل الصندوق الأخضر بقفله ذى الجرس القديم هى الرمز لهذا الحب وهذا الاهتمام ولم يكن محمود الأخ ليحظى بهذا الاهتمام الاعندما تخلى عن التزوير وأصبح انساناً يأخذ مكان أخيه على المركب داخل البحر ليعيل هذه الأسرة.

ومن هنا أصبح هو الآخر له قيمة وجدير بالحب حب امه العجوز.

- وتأتى بعد ذلك قضية ارتباط الإنسان ببلده بوطنه بالأرض التى تربى فيها قصة الحنين لهذه الأرض والأشواق والاهتمام بأبنائها الذين عاش معهم هذا الإنسان بسيطاً مثلهم وهو يحتضنهم فى قلبه وهو يحملهم ملء عينيه قوى تتوهج بالإرادة والحيوية والتحفز وهو يؤمن أن الإنسان محال أن يكبو ومستحيل أن ينهزم ولابد له أن يشق طريقه لتأدية دوره فى الحياة.

ان قصة الممر المظلم وثيقة فنية وإمكانية ضخمة لتطور كامل « التكنيكى » فى مجال القصة القصيرة.

إن فرنسواز التي تحمل لهذا الإنسان الليبى الذى تعشعش أجواء الحريم فى اعماقه (....)[4] الحصول الجنسى وسهولة التمتع

بأجواء باريس وحريتها وهو مشغول عنها بخطاب .

وكم ود ألا تأتى هذه الباريسية لأنه يعيش بقلبه وأعصابه وبكل وجدانه مع أبناء بلاده ويتتبع وينتظر الخطاب الذى يقطر أسلوبه بالإرهاب والخوف .

وبعد : فإن هذه المجموعة التى يقدمها كامل لنا انما هى كما قلت دليل على إمكانية الفنان الليبى ومقدراته الخلاقة لبناء تراث أدبى وفنى لثقافتنا الليبية المتطورة ويكفى أن يقول عنها الناقد المصرى الكبير الأستاذ محمود أمين العالم بأنها تحتل مكانة الطلائع فى القصة العربية المعاصرة .

تحية لكامل على هذا الجهد وللأخ القصير الأصلع إعجابى وحبى .

□□

« 1 » كلمة غير واضحة .



النص الحادى عشر .

المنتمى *
دراسة فى أدب نجيب محفوظ .

الأستاذ غالى شكرى من أنضج شبان النقد فى مصر وتتسم مقالاته النقدية التى كان يكتبهاعلى صفحات مختلف المجلات فى الشرق العربى تتسم هذه المقالات بالموضوعية والبحث الجدى وتظهر فيها خصائص المعاناة وعمقها وزخمها على السواء .

ومن مؤلفاته : سلامة موسى وأزمة الضمير العربى ودراسة نقدية عن أزمة الجنس فى القصة العربية ثم أعقبها بكتابين : المنتمى وكلمات من الجزيرة المهجورة .

والمنتمى دراسة رائعة عن أدب الروائى الكبير الأستاذ نجيب محفوظ وهذا الكتاب يحدد مفهوم الأستاذ غالى شكرى ورأيه فى أدب نجيب محفوظ وسوف أحاول أن أستعرض وأن ألقى بعض الأضواء على هذا الرأى مبتدئاً بالفصل الأول من الكتاب وهو « جيل المأساة » ذلك الجيل الذى تمثله شخصية كمال عبدالجواد فى ثلاثية نجيب محفوظ « بين القصرين وقصر الشوق والسكرية » هذه الثلاثية التى تعكس من خلال هذه الشخصية أزمة الجيل المصرى الذى عاصرأحداث ما قبل الحرب العالمية الأولى عبر الثلاثينيات من القرن العشرين وتعكس أيضاً مأساة الحرية على المستوى الفكرى والسياسى والاجتماعى .

ويستعرض المؤلف نشأة كمال عبدالجواد التى كانت تتأرجح بين التقاليد الشرقية والتربية وبين الأحساس الرومانسى الذى يعيشه خياله الغض وموقفه بالنسبة للدين والجنس والبطولة والاستعمار وغيرها من المواقف هذه النشأة هى التى تعكس جوهر الأزمة وأبعاد المأساة التى عاشها جيله وكيف كانت هذه الشخصية الفنية تعبيراً نموذجياً عن أزمة نجيب محفوظ نفسه .

وسيخلص المؤلف خلال تحليله العميق للمساحة الزمنية لأحداث هذه الثلاثية إلى أزمة الانتماء للمثقف العربى هذا الانتماء الذى جاء نتيجة انيهارالقيم السائد فى المجتمع المصرى آنذاك وما عاصرها من الفوارق الطبقية وإهدار لكرامتهالإنسانية والإحساس بالتخلف الحضارى المرير والبحث عن حل لأزمة الحرية وكذلك الإحساس الحادبين انشطار الشخصية وتمزقها وبين القهر الإجتماعى الذى تعيشه .

والمنتمى العربى وسط هذا الجو المأساوى الذى يصخب بالمهانه والدونية مأزوم تماماً فهو لايستطيع أن يقدم حلاً حاسماً لمشكلته فهو أولاً متذبذب بين الانتماء إلى اليمين أو إلى اليسار وفى أعماقه إحساس قاهر ملىء بالتناقضات والشك واللاجدوى من كل شىء وهو ثانياً يعانى بمجموعة هائلة من الصراعات

حيث يعشش الإحساس بالشك والقلق والانهزام وحيث تنعدم الحرية وتستحيل الحياة إلى جحيم كرية لايطاق .

هذا المنتمى الذى فتح عينيه على منجزات الحضارة الأوربية وتفتح وجدانه على الاتجاهات الفكرية والفلسفية والاجتماعية التى وفدت إليه من الغرب عن طريق رواد الأدب والطلائع الثقافية فى الوطن العربى أمثال : طه حسين والعقاد وسلامة موسى وغيرهم هذا المنتمى تقبل عقلياً ووجدانياً هذه التيارات ولكنه وقف منها عند عتبات الانبهارالعقلى فقط ولم يستطع أن يحرك خطواته إلى السلوك العملى ذلك أنها لم تكن لتصل بعد فى تفاعلها بالواقع الحضارى فى مصر آنذاك ولم تكن فى استطاعتها أن تحفر فى ضمائر المثقفين أخاديد مماثلة لتلك التى شقت لنفسها سبلا عميقة فى وجدان الإنسان الغربى وضميره ومن هنا تكمن الأزمة فى حياة جيل كمال عبدالجواد إنها أزمة أول خطوة فى درب الحياة إنها الحيرة القاتلة والشك المرير ومن هنا أيضاً تكمن أزمة الانقسام الحاد فى الشخصية الانتهائية بين التخلف والتقدم بين الفوارق الطبقية الهائلة وبين مطلب الحرية للجميع .

ولقد استعان الأستاذ غالى شكرى لتحديد مفهوم المنتمى العربى واللامنتمى الغربى بثلاثية الفيلسوف الوجودى الكبير « جان بول سارتر » لأوروبا الحرية حين قارن بين النموذجين كمال عبدالجواد عند نجيب محفوظ وماثيو عند سارتر وا ستخلص أن أزمة الحرية عندكل منها هى أن الحرية عند المنتمى العربى فى أزمة وجود أى يكافح من أجل الحصول على الحرية ولوبقدر أدنى منها بعكس اللامنتمى الغربى الذى يهدف إلى حماية هذه الحرية وإلى صيانة مكاسبه من الحرية وهو يقف من الحياة كشىء تتساوى إزاءه الحقيقة واللاحقيقة وخلفه تراث حضارى ضخم عموده الفقرى تقديس حرية الفرد على المستوى الفكرى ومجموعة هائلة من التقاليد الديمقراطية على المستوى السياسى ومجموعة مماثلة من القيم الحضارية على المستوى الاجتماعى فما أن تتخلل هذا التراث نغمه نشاز كالفاشية والنازية مثلاً حتى يكون رد الفعل العنيف لدى ابن هذا التراث هو تذويب الذات والحرية فى مزيج واحد يرفض كافة القيم القادمة من الخارج ومن ثم يتحول الإحساس بالكون إلى عالم قيم ووجود بلامعنى وحياة بلاجدوى ولعل الغرب المعاصر يعى جيداً أن التاريخ لم يعرف عدوًا للحرية والديمقراطية كما عرف عن النازية والفاشية .

إن اللامنتمى كما يقول « كولن ولسن » هذا الإنسان الذى يدرك ماتنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واه ويشعر بأن الاضطراب والفوضى به هماأعمق تجذرًا من النظام الذى يؤمن به قومه وقد استقيقظ على الفوضى ولم يجد شيئاً يدعو إلى الاعتقاد بأن الفوضى إيجابية بالنسية للحياة .

إن مشكلة اللامنتمى الأوروبى هى فى أساسها مشكلة الحرية فى معناها الفلسفى العميق وهوالذى يواجه أبشع الحقائق وأقساها تلك هى مرض الإنسانية المعاصر وهو الوحيد الذى يدرك بأنه مريض فى حضارة لاتعلم أنها مريضة .

وذلك على النقيض من كمال عبدالجواد فى ثلاثية نجيب محفوظ الذى يرفض القيم القديمة ليستبد لهابقيم أخرى جديدة وأكثر جدوى ومتساوقة مع الحياة الجديدة بواقع مرير متخلف وبدون حرية فتهتز المرئيات أمام عينيه ويلفه الضباب من كل جانب فلايجد مناصاً من التوقف عن المسير فى حالة عجز تام عن التغير المطلوب.

ولما كان هذا التغيير وهو الوسيلة الوحيدة أمام كمال للحصول على حريته فى تحقيق ذاته ووجوده لذلك كان الانتماء قدرا لامفرمنه أمامه وأمام الجيل بأكمله ومن ذلك يتأزم الوجدان بالحيرة والشك والغليان بدون توقف ويحدث الانقسام فى الشخصية بين المنطق العقلى المتفتح على ثقافات حديثة تريد أن تطور الحياة وبين السلوك العملى الذى تكبله قيود الواقع الاجتماعى وجموده وتخلفه.

ولقد كان طبيعياً أن يتأثر الجيل الجديد بالحلول والأيديولوجيات السائدة فى العالم آنذاك ولقد كانت الدراسات لمشكلات العالم ولظواهر الحياة وما صاحبها من إيجاد نتائج باهرة عن حقائق الكون وخفايا النفس البشرية.

كل هذه النتائج أثرت بشكل خطير فى نظرة الإنسان الجديد فى العالم بصفة عامة ووجدت مناخاً طيباً أذهان المفكرين والمثقفين العرب على وجه الخصوص ذلك أن المجتمع العربى كان حوج من غيره إلى هذه الثقافات العلمية وكان لفترة غير بعيدة يسوده طوفان من السكون الغيبى الذى ران على حياته وعطل الكثير من المواهب ووقف فى سبيل تحرير العقول وتنميتها.

فدراسة تطور الحياة عند «دارون» والدراسات النفسية واكتشاف علم النفس «لفرويد» والبحوث الفلسفية والنظريات العلمية لكثير من عباقرة العالم العظام كانت هذه للأفكار الجديدة وهذه الفتوحات العلمية الرائعة أول ماتعنى بشؤون الحياة والإنسان وتعمل على تطوره وتحريره من الوهم وكانت تهدف إلى إيجاد الحلول الحاسمة لمشكلاته مع نفسه وصراعاته مع الطبيعة وأسرار الكون.

وكان لابد أن يتأثر رواد الفكر العربى بهذا الانفتاح العلمى والفكرى الذى طرأ على أذهان المفكرين فى الغرب وكان لابد لهؤلاء الرواد أن يؤثروا فى مجتمعهم بحصيلاتهم الثقافية الجديدة.

وكان هؤلاء الرواد هم : طه حسين والعقاد وسلامة موسى والمازنى وغيرهم من المفكرين الذين حملوا مشعل الثقافة والفكر والأدب والفن للجيل الجديد وعملوا على إضاءة الطريق للشباب المتعطش للمعرفة والحرية والحياة.

وعلى الرغم من تشوق الجيل الجديد لهذه الثقافة وعلى الرغم من إقبالهم الشديد عليها لمحاولة النهل من عبابها وعلى الرغم من أنها تمثل شيئاً جديداً للغاية وذافاعلية بالغة الأهمية.

بالرغم من هذا كله فإن هذه الثقافة بقيت تمثل شيئاً مستورداً من الخارج إذ أن هذا الجيل لم يكن ليتمثلها تمثل الخالق لها والمبدع لما تنطوى عليه من فاعلية وجدية ولم يكن ليخبر هذه الأفكار ذلك لأنه عاش فى ظروف يغلب عليها طابع التخلف والزيف ولأنه عاش كذلك فى حضارة بتراء وعقيمة ومن هنا تولد فى ضمائر الجيل الجديد الإحساس بالتمزق والرفض والانبهار.

وابتدأت مواقفه تفتقر إلى التحديد والوعى ولقد كان هذا الجيل الممزق محكوماً عليه بالعذاب ذلك بأنه ولد مرتبطاً بمصير مجتمعه وشعبه وحضارته.

وعندما نعود مرة أخرى لنستعرض طفولة وشباب كمال عبدالجواد كما رسمها نجيب محفوظ فى «بين القصرين» و «قصر الشوق» نرى أن كمالاً كان يعيش طفولة قاسية وذلك لما يمثله له أبوه من سلطة هذا الأب الذى يراه كمال يتربع على عرشه فى مهابة واجلال ترك فى وجدانه الصغير صورة لاتمحى عن الألوهية التى كان يتصورها فى هذا الأب بالأضافة إلى بذور أخرى غرست فى تكوين كمال الطفل أخذت تنمو وتترعرع فى شبابه وأخذت تنمو فى صنع مأساته.

فالمواقف الأساسية البارزة فى جبين هذه المأساة تظهر جذورها فى مواقف صغيرة رافقت طفولة كمال موقفه من الدين والزواج والجنس والحب واللاحرية بالأضافة إلى الرهافة والجموح فى خياله الرومانسى هذا الخيال الذى تشبع بمناخ يجمع فى طبيعته تناقضاً هائلاً بين القيم التقليدية فى ظل الإقطاع والعلاقات الاجتماعية الجديدة التى أصبحت تأخذ وجودها فى ظل المجتمع المتكون الجديد.

فهذا الأب كما يقول المؤلف كان يمثل سطوة القيم المستبدة كما يمثل فى نفس الوقت تحلل هذه القيم وفسادها من الداخل.

أما فى «قصر الشوق» الجزء الثانى من الثلاثية فهناك «عايدة شداد» حبيبته الوجه الثانى للمأساة هذه الحبيبة التى تمثل القيم البرجوازية بكل ماتشتمل عليه من تناقضات.

فهو عنوان الحرية والثقافة والرقى كما أنها عنوان السطحية وتبادل المنفعة.

فكانت بين القصرين تجسيماً للفوضى والبلبلة التى شكلت أزمة كمال فيما بعد خاصة إذا كان عاهل بين القصرين قد تجسد هذا التناقض الحاد فى شخصيته الواحدة فهو رجل «بار» نهاراً ورجل ملذات بالليل.

وقصر الشوق كما يقول المؤلف وكما أرادها نجيب محفوظ هى انعكاس لعلاقة الحب بين كمال عبدالجواد وعايدة شداد بكل مرارة الفشل والخيبة فيها وبكل تناقضاتها وحدتها وهى تعكس أيضاً الفوارق الطبقية وانهيار العلاقات الاجتماعية الملطخة بالعار والكذب والخداع والكراهية.

فالأب الذى كان يمثل قمة الألوهية وقمة الرجولة والمهابة عند كمال نهاراً هو نفسه الأب الماجن المهرج الذى يقضى لياليه فى مجالس الساقطات.

وعايدة الحبيبة ذات التعليم الفرنسى وذات الرقة والأناقة عايدة هذه التى كان بجسمها خياله المرهف المحموم مثالاً للحبيبة المعبودة هى نفسها الفتاة الارستقراطية المتعجرفة التى ترفض دعوة حبه وقد خلفت فى وجدانه آثاراً لاتمحى من العذاب والألم والشعور بالخيبة والمرارة والفشل.

وقد كان الاستبداد الأبوى فى الأسرة والطغيان العاطفى فى الحب هما نتاج المطلقات الرومانسية فى حياة المراهق والممزقة بين القيم الإقطاعية والعلاقات الاجتماعية الجديدة.

وكانت مأساة الحب هى المقدمة التمهيدية لمأساة القيم المنهارة كما يقول المؤلف ومن خلال هذا الجو المشحون بالحقد والأنانية والانهيار خرج كمال يحمل فى ذاته عذاب الانشطار النفسى بين الحلم والواقع بين ماهو

كائن فى مجتمعه المريض وبين مايجب أن يكون عليه هذا المجتمع.

لقد خرج من هذا الجو وعلى كتفه صليبه صليب الإنقسام.

ويقول الأستاذ غالى شكرى إن الشك فى حياة كمال عبدالجواد هو المحور الذى تدور حوله أحداث الجزء الأخير من الثلاثية وهو الوليد الشرعى الأول لنقطة التحول التاريخية فى حياة كمال وهو ربيب الانشطار الحاد فى شخصيته وجاءت السكرية تجسيداً موضوعياً لهذا الانقسام فإذا كان الشك يغرس فى أعماقه بذور الإحساس بالعبث واللاجدوى فإن الواقع يفرض عليه الانتماء إلى الحياة بأن يضفى عليها معنى جديداً.

وهذا الانتماء يفرض عليه بدوره هو الآخر صراعاً لايكل صراعاً قاسياً من العذاب والتمرد والغليان.

ومن هنا يكتشف المؤلف أن أحمد شوكت الشخصية الأول فى السكرية هو فى الحقيقة الوجه الآخر لكمال عبدالجواد هو الحلم والأمنية وهو الأمتداد المثالى الذى يرجوه وهو كذلك التحقيق الرائع للسلوك العملى الذى ظل يعذب كمال خلال جميع مراحل الجزءين من الثلاثية وظل يرمى به فى هوة القلق والاندحار وظل يمزق وجدانه الملتاع والحائر إلى الأبـــــــد.

ويقرر المؤلف مرة أخرى أن هذه الشخصية المنقسمة على نفسها تجسد أول بطولة تراجيدية فى الرواية المصرية.

والحقيقة أن هذه الاكتشاف غاية فى الذكاء والفهم العميق لثلاثية نجيب محفوظ وما ترمز إليه هذه الثلاثية بالنسبة لأزمة الانتماء وأزمة الحرية التى تمثل أزمة الجيل بأكمله خلال الثلاثينيات من هذا القرن.

بقى شىء واحد وهو أن شخصية كمال عبدالجواد الفنية هى نفسها التمثيل الواقعى لشخصية نجيب محفوظ نفسه كما يقول الأستاذ غالى شكرى وقد استطاع المؤلف أن يعطينا أكثر من دليل على صحة هذا الرأى وذلك بالنسبة لموقف الأستـاذ نجيب الشخصى من الزواج والثقافة والمقالات الفلسفية والعلمية التى كان يكتبها على صفحات الجرائد فيما قبل ثم التقائه بسلامة موسى وانتمائه لحزب الوفد المصرى.

إن كمال عبدالجواد هو الشخصية الرامزة لجيل المأساة الذى عاصره نجيب محفوظ الذى فتح عينيه على التخلف الحضارى والقيم الإقطاعية والعلاقات الاجتماعية المنهارة خلال الثلاثينيات من هذا القرن.

- يتبع [1] -.



«*» نشرت هذه المقالة بمجلة الرواد العدد 11 / 1966 السنة الثانية ص : 5 ومابعدها.

«1» هذا مقال أخير كتبه الشاعر : على الرقيعى قبل وفاته وكان يزمع تكملته كما أشار فى ذيل المقال «يتبع» ولكن الموت حال دون ذلك واختطفه قبل اكماله مع مشروعات وأحلام عريضة تبخرت فى لحظة.





تخريج النصوص .

أولاً : الشعر .

رقم النص	مصدره	الصفحة	التاريخ
الأول	جريدة طرابلس الغرب	ص : 3	20 - 1 - 1954 م
الثانى	جريدة طرابلس الغرب	ص : 4	24 - 1 - 1955 م
الثالث	جريدة طرابلس الغرب	ص : 4,3	14 - 5 - 1957 م
الرابع	جريدة طرابلس الغرب	ص : 3	15 - 11 - 1957 م
الخامس	جريدة طرابلس الغرب	ص : 4	6 - 12 - 1957 م
السادس	جريدة طرابلس الغرب	ص : 4	13 - 12 - 1957 م
السابع	جريدة طرابلس الغرب	ص : 2	17 - 12 - 1957 م
الثامن	جريدة طرابلس الغرب	ص : 3	15 - 1 - 1958 م
التاسع	جريدة طرابلس الغرب	ص : 2	3 - 2 - 1959 م
العاشر	مجلة صوت المربى	ص : 11	حوالى 1966 م
الحادى عشر	مجلة صوت المربى	ص : 18,17	
الثانى عشر	مجلة صوت المربى	ص : 19	

ثانياً : النثر .

رقم النص	مصدره	الصفحة	التاريخ
الأول	طرابلس الغرب	ص : 4	4 - 11 - 1954 م
الثانى	طرابلس الغرب	ص : 3	8 - 1 - 1960 م
الثالث	طرابلس الغرب	ص : 6	7 - 6 - 1961 م
الرابع	طرابلس الغرب	ص : 6	28 - 6 - 1961 م
الخامس	طرابلس الغرب	ص : 6	19 - 7 - 1961 م
السادس	طرابلس الغرب	ص : 6	26 - 7 - 1961 م
السابع	طرابلس الغرب	ص : 6	15 - 11 - 1961 م
الثامن	طرابلس الغرب	ص : 6	29 - 11 - 1961 م
التاسع	طرابلس الغرب	ص : **3 , 6**	26 - 9 - 1965 م
العاشر	طرابلس الغرب	ص : 6	13 - 10 - 1965 م
الحادى عشر	**مجلة الرواد**	ص : 5ومابعدها	1966 م

المحتويات

ثانيا : النثر : 33

مطبعة الزحف الاخضر ـ باب العزيزية طرابلس

على الرقيعى

(1934م - 1966م)

- ولد الشاعر على محمد على الرقيعى فى مدينة طرابلس سنة 1934م بالظهرة شارع دنون .
- اضطر تحت وطأة الحاجة إلى هجر مقاعد الدراسة قبل إتمام المرحلة الثانوية حيث التحق بعدة وظائف صغيرة منها العمل فى وزارة الصحة آنذاك بقسم الحسابات.
- انكب على القراءة وتثقيف نفسه بشغف كبير ساعده على شحذ موهبته المبكرة .
- أسهم فى الحياة الثقافية فى تلك الفترة بنادى الشباب الليبى والكتابة فى جريدة طرابلس الغرب ومجلة هنا طرابلس الغرب وصوت المربى وإعداد برنامج للإذاعة بعنوان : «همسات الليل» .
- شارك الشاعر فى النشاط الرياضى باللعب مع فريقى : الطليعة والأهل بطرابلس ويقال إنه فقد السمع فى إحدى أذنيه نتيجة ضربة كرة .
- توفيت والدة الشاعر المسماة : فاطمة رحومة المشري وهى من زليتن عام 1946م بوباء الجدرى وبذلك فقد حنان الأمومة وهو لم يزل طفلاً فى الثانية عشرة من عمره .
- صدر للشاعر ديوانان هما : الحنين الظامىء وأشواق صغيرة .
- توفى الشاعر إثر حادث مفجع فقد ارتطمت سيارته نوع «فيات صغيرة 600» بشجرة فى طريق الفرناج قرب أمانة الزراعة حالياً صباح 1966/11/23م ودفن بمقبرة سيدى بوكر بطرابلس .
- مازال والده : محمد على الرقيعى على قيد الحياة وهو يبلغ من العمر حوالى تسعين عاماً ويسكن فى البيت نفسه الذى بناه الشاعر بفشلوم زنقة «أبو ذينة» .